" الطاهرة "

أعظم امرأة إيرانية

بقلم

مارثا ل. روت

ترجمة سيفي سيفي

يقدم هذا الكتاب

هدية متواضعة بكل تبجيل

الى

جناب بهائية خانم

" الورقة المباركة العليا "

ترجمة عن نسخة مطبوعة في الهند

تحت عنوان

TAHIRIH THE PURE,
IRAN'S GREATEST WOMAN

by

Martha L. Root

الفهرس

مدخل
مدح بهاءالله للباب ولأبرز تلاميذه
الفصل الأول
تاريخ حياة الطاهرة
الفصل الثاني
الأحداث في قزوين وطهران
الفصل الثالث
استشهاد الطاهرة والكارثة
الهوامش
فهرس الأعلام
فهرس الأماكن

مدخل

لفهم قصة جناب الطاهرة، أعظم نساء إيران. على المرء ان يعرف شيئاً عن بلاد إيران في ذلك الوقت، ولابد له من إلقاء نظرة سريعة على ديانة عرفت باسم الديانة البهائية ظهرت في تلك الارض في منتصف القرن التاسع عشر.

حتى ذلك الوقت، كانت النساء يخضعن لحالة من القوانين والأعراف الصارمة تزداد وتقل حسب الظروف. أما الآن – وهن يشكلن نصف المجتمع البشري – وبعد قرون من السبات، فقد انتبهن الى دورهن الجديد وحملن أفكاراً جديدة. ومن المبهج لهن ان يعرفن إن أول امرأة استشهدت لأجلهن لم تكن من الغرب أبداً، بل امرأة شاعرة شابة تعرف بالطاهرة وفي بعض الأحيان "قرة العين" من مدينة قزوين في إيران.

لقد أظهر لها حضرة عبدالبهاء إجلالاً وافراً، وأتذكر جيداً كلماته لنا عندما كان في زيارة له الى الغرب: "من بين نساء زماننا كانت قرة العين، وهي ابنة رجل دين إسلامي. أظهرت في زمن ظهور حضرة الباب شجاعة فائقة وقوة بحيث أعجب بها كل من سمع عنها. لقد أسفرت النقاب عن وجهها بالرغم من وجود تلك العادة القديمة لدى نساء إيران، ان مجرد التخاطب مع الرجال

في ذلك الوقت كان يعتبر عملاً شائناً، إلا ان هذه المرأة البطلة دخلت في مناقشات مع أكبر علماء الدين الرجال، وكانت تمحقهم في كل مقابلة. فسجنتها الحكومة الإيرانية، ورُجمت بالأحجار خلال الطرقات ولعنوها ونفيت من مدينة الى أخرى وهددت بالقتل، إلا ان ذلك لم يهن أبداً من عزمها في السعي لتحرير أخواتها. وتحملت العذاب والاضطهاد بكل شجاعة، واستطاعت وهي في داخل السجن ان تجتذب مؤمنين جدد. وقالت لأحد الوزراء وهي سجينة في داخل بيته: **"يمكنك قتلي متى تشاء، لكنك لا تستطيع وقف تحرير المرأة"**.

في النهاية قربت ساعة نهايتها المحزنة، فنقلت الى حديقة حيث قتلت. ومع ذلك، فقد ارتدت أفضل ملابسها كما لو انها ذاهبة لحضور حفلة زفاف. وفي مثل هذه الشجاعة والشهامة قدمت حياتها، فسحرت وفتنت كل من شاهدها. لقد كانت بطلة عظيمة حقاً. واليوم هناك بين البهائيين في إيران نساء يظهرن شجاعة فائقة ويتمتعن بمواهب شعرية ولباقة ومقدرة على الكلام أمام جموع الناس".

ان شجاعة جناب الطاهرة الخالدة ستظل محفورة الى الأبد في ذاكرة الخلود، لأنها قدّمت حياتها من أجل أخواتها النساء. ان طيب عبق شجاعتها ونكران ذاتها قد انتشر في كل القارات

الخمس. والناس من متدينين وغيرهم ومن كل طبقات المجتمع والأجناس، ما زالوا حتى هذا اليوم يشمّون عطر أفعالها الطيبة، وتسيل دموع المحبة والاشتياق عندما تنشد قصائدها الرائعة. ومن خلال موقفها الشجاع تبدلت المفاهيم وازدادت المساواة بين الرجل والمرأة. إن مفهوم القوة القديم، بدأ يفقد هيمنته داخل المجتمعات، ويمكننا ببصيرة نافذة ان نلمح وعياً واسعاً الى أبعد الحدود، وبدأت روح المحبة والتفاني التي تتميز بها المرأة تحصل على مكانتها. ويمكنك ان ترى في هذه الفترة الجديدة بروز عهد حضاري بدأ يتساوى فيه الذكر والأنثى. إن الرجل والمرأة هما بمثابة جناحي طائر البشرية، وان هذا الطائر لا يمكنه إدراك أوج طيرانه إلا بتساوي وتوازن قوة جناحيه.

من أهم تعاليم الديانة البهائية هو تساوي امتيازات النساء مع الرجال وتمتعهن بكامل حقوقهن معهم في الثقافة والفرص. كان على جناب الطاهرة ان تموت من أجل هذه الأهداف العظيمة، أما نحن، فدورنا أن نعيش من أجل تحقيق هذه الأهداف.

أعزائي القراء، لا يمكنني ان أصور بالكلمات عهد إيران في القرن التاسع عشر حيث عاشت جناب الطاهرة، كما أبدعها وقدّمها حضرة شوقي أفندي ولي أمر الديانة البهائية في حيفا في

فلسطين في مقدمته الرائعة للكتاب التاريخي البهائي "مطالع الأنوار".

لذلك ألتمس عفوه باقتطافي بعض من مقدمته:-

اشتهرت الديانة البهائية الآن في جميع أنحاء العالم، وجاء الوقت الذي فيه يهتم القراء بتصفح "تاريخ النبيل" الفريد عن أوائل حوادث هذه الديانة التي وقعت في أظلم عهود إيران، فلهذا التاريخ الذي دوّن بدقة تامة أهمية من جهات متعددة، ففيه قطع مؤثرة مهيجة للشعور. ولا يقتصر سمو تدوينه على قيمته التاريخية فقط، بل لأنه أيضا يحوي قوة أدبية فائقة، فأنواره مشرقة ولها قوة ساطعة كأنها الشمس المضيئة في وسط الديجور الحالك. والرواية عبارة عن ملاحم واستشهادات، فمناظرها مؤثرة مروعة وحوادثها مفجعة متعددة. وقد اكتنفت النهضة الامرية الإصلاحية وأحاطتها جملة أنواع من التعصبات الدينية والرشوة والاضطهادات، كانت كلها ترمي الى محوها والقضاء عليها. وينتهي هذا الجزء من التاريخ الى حيث تكون سَوْرَة البغض والعدوان قد أتمت عملها وانتهت في إيران بنفي وقتل كل رجل أو امرأة أو طفل ممن يصبو الى تعاليم حضرة الباب. وكان النبيل بنفسه مشتركا في بعض الأدوار التي يقصها، ورقّم بقلمه الفريد جميع حوادث الذين

استشهدوا رجالاً ونساءاً بغير رحمة ولا شفقة، وسرد أحوال الأمر وما لحقه من الإهانات التي لا مثيل لها في التاريخ.

ولما كان موجودا باللغة الإنجليزية كتابات أدبية كثيرة عن إيران في القرن التاسع عشر كما يوجد في بعض الكتابات الفارسية التي ترجمت الى اللغات الأجنبية وفي كتب السائحين من الأوربيين أمثال اللورد كرزون والسير ج. ملكولم وغيرهم أبواب كثيرة تفصح عن الفظائع التي واجهها حضرة الباب عندما أسس الديانة البابية في أواسط القرن التاسع عشر.

ولا ينظر جميع أهل العلم لإيران إلا انها مملكة ضعيفة وان أمتها متأخرة منقسمة على نفسها مما دب فيها من عوامل الرشوة والتعصبات الوحشية، وعلى أثر الانحطاط الأدبي فيها امتلأت بالجهل والعمى، فمن الأعلى الى الأسفل لم يوجد فيها من يقدر على عمل الإصلاح أو يرغب فيه، فالغرور القومي جعل الناس راضين بعظمة كاذبة، فلبست جميع الأشياء رداء الجمود واصبح التقدم مستحيلا من تأثير الشلل العقلي العام.

ومما يؤسف له ما يظهر للطالب المؤرخ من عوامل الفساد التي دبت في أمة كان لها تاريخ مجيد ذو شهرة فائقة. وكان حضرة عبدالبهاء، رغم المظالم التي وقعت عليه شخصياً، وعلى

حضرة بهاءالله وعلى حضرة الباب، يسمي ذلك الانحطاط في كتابه (الرسالة المدنية) بمأساة الأمة، حيث كان محباً لأمته. ففي ذلك الكتاب أراد تحريك قلوب مواطنيه للعمل على الإصلاحات الأساسية وكان يتألم مما آل اليه حال ذلك الشعب بعد ان كان في الأزمان القديمة يمد فتوحاته شرقاً وغرباً ويقود مدنية العالم. وفي ذلك الكتاب يقول: (ان إيران كانت في الأزمان الخالية قلب العالم وأضاءت جميع الأمم كالسراج الوهاج وأخذ مجدها وسعادتها يظهران في أفق الانسانية كالفجر الصادق وانتشرت أنوار المعرفة وأضاءت أمم الشرق والغرب. وكانت عظمة ملك الملوك قد أخضعت ملوك روما واليونان وامتلأ جميع الحكماء رهبة من حكمتهم واحتذى ملوك العالم حذوها في صياغة القوانين مقتفين آثارها ومتتبعين سياستها. وامتاز الفرس من بين ملل الارض بأنهم أمة الفتوحات ويفخرون بعلمهم ومدنيتهم وكانت أقطارهم مركزا للعلوم والمعارف والصنائع ومعدناً للتربية والثقافة ومنبعاً للفضائل والكمالات. والآن انظر كيف أظلمت أشعة السعادة في هذه المملكة الفائقة وأشرفت على الزوال بسبب ما دب فيها من عوامل الكسل والغرور وعدم المبالاة وانعدام التعليم وفقدان النظام وزوال الحماس وازدياد الأطماع).

وقد وصف هذه الأحوال التي تكلم عنها حضرة عبدالبهاء كتّاب آخرون، فمما قاله اللورد كرزون (ان الحكومة في وقت ظهور حضرة الباب واعلان دعوته كانت عبارة عن حكومة دينية جامدة طامعة قاسية سافلة مرتشية فاسقة، وكانت أحكام الاسلام الفقهية هي العامل الوحيد الذي استولى على شؤون الحكومة وحياة الأهالي الاجتماعية فلم توجد غيرها من قوانين ولا أحكام ولا أخلاق لارشاد العموم، ولم يكن لديهم مجلس أعيان ولا مجلس نواب ولا مجمع ديني ولا مجلس لوزراء الدولة، بل كان الشاه هو الحاكم المطلق المستبد وأمره نافذ على جميع الموظفين من وزير الى أصغر كاتب، ولا توجد محكمة مدنية لتوقف أو تعدل أحكامه أو تحد من السلطة التي يعطيها لأي مرؤوس. وكلمته هي القانون، فله ان يفعل ما يشاء ويعين أو يطرد الوزراء أو الموظفين والضباط والقضاة. وله وحده السلطة على حياة أو موت أي فرد من أفراد أسرته أو حاشيته سواء كانوا مدنيين أو حربيين، فهو وحده يملك حق حكم الإعدام وبيده جميع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية فلا حد لامتيازه ولا رادع من قانون مكتوب).

وحتى لو أراد الشاه إجراء حكم صحيح وعادل في أي قضية تحضر أمامه للبت فيها، فسيجد انه من الصعب عليه ذلك، لأن المعلومات التي كانت تقدم له إما مغلوطة أو متفقة مع رغبات

الشهود أو الوزراء. ان نظام الفساد كان قد انتشر في إيران انتشارا واسعا وأصبحت تلك المؤسسات معروفة بحيث يصفها اللورد كرزون جيدا كما يلي:

"قبل ان أترك موضوع القانون الإيراني والإدارة الإيرانية أريد ان أذكر بعض العقوبات وشيئا عن السجون فلا يوجد شيء أدهش للقارئ الأوربي من وصف العقوبات الوحشية والتعذيب المفجع المثبوت في صحائف تاريخ إيران الملوثة بسفك الدماء والاجرام في القرن المنصرم وهي في القرن الحالي أخف نوعا وكلها تشهد بالقسوة الوحشية والخبث الشيطاني. وكانت غرائز أهل إيران تميل الى استنباط الحيل في اختراع أنواع العقوبات. ولم يكن عندهم اكتراث بالآلام الناتجة عنها. ويظهر ذلك بجلاء في ميدان التنفيذات القضائية التي هي محل ظهور كلتا الطبيعتين. وكان الى عهد قريب وفي حدود الحكم الحالي يصلب المجرمون أو ينسفون من المدافع أو يدفنون أحياء أو يقتلون بالخازوق أو يضربون بالرصاص كما تضرب الخيول أو يشطرون شطرين بواسطة ربطهم في رأس شجرتين تضمان على بعضهما بقوة ثم يفك ربطهما حتى تعودان الى مكانهما الأصلي وتكون الجثة في هذه الأثناء قد انفسخت شطرين أو تعمل منهم مشاعل إنسانية أو تسلخ جلودهم وهم أحياء".

ومن أول يوم قام فيه حضرة الباب على الدعوة، تنبأ بالمصير الذي سيعطيه مواطنوه لتعاليمه وبالنصيب الذي سوف يلاقيه على أيدي علماء الدين ولكن مع علمه بذلك المصير، لم يمتنع عن إعلان دعوته بكل صراحة ولا عن إظهار أمره مكشوفا. وكانت التجديدات التي قام على نشرها شديدة الوقع ولو انها كانت دينية محضة. وكان إعلان ظهوره مدهشاً خطيراً فإنه أظهر نفسه بأنه هو القائم الموعود والرسول الجليل والمسيح المنتظر الذي كان العالم الإسلامي يترقب ظهوره بفروغ صبر. وأضاف الى ذلك، انه الباب الذي سيظهر من خلاله للعالم الإنساني مظهر الهي آخر أعظم منه شأناً.

ولكن ما حدث كان مخالفاً لهذا الظن كما قرر ذلك بنفسه. ومع انه كان القائم الموعود ومن كبار الرسل، إلا انه بالنسبة للظهور الذي يتلوه كان كيوحنا المعمدان بالنسبة للمسيح مبشراً بظهور أعظم منه. ولقد سلك أمره نفس طرق الشرائع السابقة، فأخذ في الأفول بينما شريعة حضرة بهاءالله راحت تسمو وتعلو. وكما كان يوحنا المعمدان مناديا وباباً للمسيح، كذلك كان حضرة الباب مناديا وباباً لحضرة بهاءالله.

فكان إنكار حضرة الباب وأمره واضطهاده شبيها في جوهره بإنكار المسيح واضطهاده، ولو كان المسيح لم يأت بكتاب جديد

ولم يردد سوى الأصول الروحية التي علّمها موسى، بل لو كان أمر باستمرار قوانين موسى لكان يعتبر مصلحا أدبيا وينجو من انتقام الكتبة والفريسيين، ولكن مجرد الادعاء بأن أي جزء من قوانين أو شريعة موسى حتى الأوامر المتعلقة بالأمور المادية كالطلاق وحفظ السبت يمكن تغييرها بمعرفة شاب من قرية الناصرة يعتبر خطرا على مصالح الكتبة والفريسيين أنفسهم لانهم كانوا خلفاء موسى وخلفاء الله وان ذلك التغيير عبارة عن تجديف على الحق وما كاد مقام المسيح يعرف حتى ابتدأ اضطهاده، فلما امتنع عن الرجوع عن دعوته حكم عليه بالقتل.

ولمثل هذه الأسباب اتهم حضرة الباب من أول أمره من رؤساء الديانة بأنه هادم لأساس الدين حتى ان رجال الدين الذين هم بمثابة الكتبة في قرن ظهور المسيح، في تلك المملكة المظلمة المتعصبة، لم يجدوا ذريعة سهلة يقدمونها لإهلاك المسيح الذي اعتقدوه عدوّهم خلاف هذه التهمة.

ومهما يكن من أمر المقاومة التي حصلت من البابيين، فانه قد ظهر عدم فائدتها، وتغلبت عليهم كثرة الجموع وأخذوا حضرة الباب نفسه من حجرته وأعدموه، ولم يتركوا أحدا من شموس مساندیه حيّاً سوى حضرة بهاءالله، الذي نفي هو واسرته وبعض المخلصين من الأتباع وسجن في بلدة أجنبية.

ومع ان النار أطفأت، فإنها لم تخمد، بل كانت تشتعل في قلوب المنفيين الذين انتقلوا بها من قطر الى آخر، بينما هم يرتحلون، وحتى في موطنهم في إيران، كانت قد تأسست وتأصلت تأصلا عميقا يصعب معه إطفاؤها بالقوة الغاشمة، بل بقي وميض النار في القلوب منتظراً هبوب أنفاس من الروح ليضطرم الى لهب نار مشتعلة لا تبقي ولا تذر.

أما الظهور الإلهي الثاني الأعظم، فقد أعلن طبقا للنبوة الصادرة من حضرة الباب في الوقت والسنة التي أنبأ عنها. ففي السنة التاسعة من ظهور حضرة الباب، أعني سنة 1853م، أشار حضرة بهاءالله في بعض قصائده انه هو المقصود من تلك النبوءات، وبعد مرور عشر سنوات، بينما كان مقيما في بغداد، أعلن نفسه لجميع أصحابه انه هو المقصود.

والآن ظهر الأمر العظيم الذي كان حضرة الباب يهيئ الطريق اليه، وابتدأ في دور عظمته بكل قوة، ومع ان حضرة بهاءالله عاش وصعد وهو منفي سجين ولم يكن معروفا للأوروبيين الا قليلا، فإن ألواحه التي أعلن فيها مجيئه الجديد أرسلها لعظماء الملوك في نصفي الكرة الأرضية من شاه إيران الى رئيس حكومة الولايات المتحدة والبابا، وبعد صعوده قام نجله حضرة عبدالبهاء وسافر بنفسه لاعلان الأمر في مصر وفي العالم الغربي وزار

إنجلترا وفرنسا وسويسرا وألمانيا وأمريكا معلنا في كل مكان ان أبواب السماء قد فتحت وان الأمر الجديد قد نزل ومعه البركات الإلهية لتحل على أبناء الانسان. وصعد في نوفمبر سنة 1921م، واضطرمت النار مرة أخرى في جميع أنحاء إيران بعد ان ظن الناس انها أطفأت الى الأبد وتأسس الأمر في الولايات المتحدة وفي كل مملكة وقطر في العالم.

والآن قد تناولت الأيدي كتابات حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء وشرحوا تعاليمها حتى نتجت عن ذلك مؤلفات جسيمة في شرحها وشواهدها وفي الأصول والمبادئ الانسانية والروحية التي جاء بها منذ عشرات السنين في أظلم بقاع الارض والتي تأسست بمعرفته بنظام ملائم ويقتفي العالم الآن أثرها واحدة تلو الأخرى دون ان يشعر بالمصدر الذي انبثقت منه هذه المدنية الراقية، فامتلأ جميع المفكرين شعوراً بأن العالم قد انقطعت صلته بالماضي القديم وان الآراء والهداية القديمة لا تصلح في نجاة العالم طبقاً لمستلزمات ومقتضيات الأحوال الحاضرة وأضحت شكوكهم كبيرة من هذه الوجهة وخابت منهم الآمال الا الذين تمكنوا من ان يعلموا من خلال حوادث ظهور حضرة بهاءالله معنى كل هذه المخاوف والإنذارات التي يتشاءم منها العالم.

مدح حضرة بهاء الله
لحضرة الباب ولأبرز تلاميذه
(مقتطفات من كتاب الإيقان)

.. فانه مع كونه كان في سن الشباب، فانه قد قام مع هذا، بأمر مخالف لكل أهل الارض من الوضيع والشريف، والغني والفقير، والعزيز والذليل، والسلطان والرعية، كما سمع بذلك الكل، ولم يخف من أحد، ولم يعتن بأي نفس. فهل يكون هذا بغير أمر الهي، ومشيئة مثبتة ربانية؟ قسماً بالله لو يتطرق في فكر أحد أمر كهذا، ويتخيله في نفسه لينعدم في الحين، ولو يجتمع في قلبه كل القلوب، فإنه لا يتجاسر أيضا على مثل هذا الأمر المهم، الا بإذن من الله، وان يكون قلبه متصلاً بالفيوضات الرحمانية، ونفسه مطمئنة بالعنايات الربانية. فيا هل ترى علام يحملون هذا! أينسبونه للجنون كما نسبوه للأنبياء من قبل؟ أم يقولون بأنه تعرض لهذه الأمور من أجل الرياسة الظاهرة، وجمع زخارف الدنيا الفانية؟*

سبحان الله إنه في أول كتاب من كتبه الذي سمّاه قيوم الأسماء، وهو أول جميع كتبه، وأعظمها وأكبرها، قد أخبر عن شهادته. وفي مقام منه ذكر هذه الآية قائلاً *(يا بقية الله قد

فديت بكلي لك، ورضيت السب في سبيلك، وما تمنيت الا القتل في محبتك وكفى بالله العلي معتصماً قديماً)*

فانظر الآن كيف قد بلَّغت هذه السدرة الرضوانية السبحانية أمر الله في أول شبابها، وكم ظهر من الاستقامة من ذاك الجمال جمال الأحدية، بحيث انه قام كل من على الارض على منعه، ولم يأت ذلك بثمر أو فائدة بل كلما كان يرد منهم من الايذاء على تلك السدرة، سدرة طوبى، كلما كان يزداد شوقه، ويزداد اشتعال نار حبه. وكل هذا واضح لا ينكره أحد، الى ان فدى أخيراً بروحه وصعد الى الرفيق الأعلى*

فحينما ظهر في شيراز ذاك الجمال الأزلي في سنة الستين وكشف الغطاء، فأنه في قليل من الزمان قد ظهرت في جميع البلاد آثار الغلبة والقدرة، والسلطنة والاقتدار من ذاك الجوهر، جوهر الجواهر، وبحر البحور، بحيث انه قد ظهرت من كل بلد آثار، واشارات، ودلالات، وعلامات من تلك الشمس اللاهوتية. وكم من رشحات علمية من ذلك البحر، بحر العلم اللدني. قد أحاطت جميع الممكنات مع ان جميع العلماء وأعزة القوم في كل بلد ومدينة قد قاموا على ردهم ومنعهم، وشدوا أزر الغل والحسد والظلم على دفعهم. وكم من نفوس قدسية قتلوها بتهمة الظلم، مع انها كانت جواهر العدل. وكم من هياكل الروح قد أهلكوها

بأشد العذاب، وما بدا منها الا خالص العلم والعمل. ومع كل هذا كان كل واحد من أولئك الوجودات ذاكراً ومشغولاً بذكر الله الى النفس الأخير، وطائراً في هواء التسليم والرضا. وقد أثر في هذه الوجودات وتصرف فيها على نحو لم يكن لهم مراد غير إرادته، ولم يبغوا أمراً غير أمره. رضوا برضائه، وهامت قلوبهم بذكره*

وخلاصة الكلام عليك بان تفكر في جميع هذه الوقائع الحادثة والحكايات الواردة، حتى تطلع على عظمة الأمر وسموه، كي ينفخ في وجودك روح الاطمئنان بعناية الرحمن، وتجلس وتستريح على سرير الإيقان.

الفصل الأول

تاريخ حياة جناب الطاهرة

إشتهرت جناب الطاهرة أيضاً بإسم "قرة العين"، وهي أشهر امرأة في تاريخ ايران وستبقى ذكراها الى الأبد. وبما أنني سافرت خلال القارات الخمس، فقد شاهدت كيف ان حياتها أثرت في النساء والرجال في كل أنحاء العالم. ولاحظت كيف ان قصائدها يلتمسها العلماء في كل بلد، وأعلم أيضاً ان من بين البهائيين من يتخذ حياة جناب الطاهرة مثالاً سامياً يبتغي الوصول اليه، مع ان الفترة كانت أقل من تسع سنوات، من وقت أول سماعها عن ظهور حضرة الباب الى زمن شهادتها بسبب محبتها لحقيقته، إلا ان حياتها الرائعة بقيت منذ ذلك الحين تبدو لنا في كل يوم مثل "معلم حيّ".

تصور في ذهنك واحدة من أجمل شابات ايران، عبقرية، شاعرة، أعلم علماء عصرها في القرآن والحديث، تصورها إبنة عائلة ضليعة في الفقه والأدب، وإبنة أعظم وأعلى مجتهد ديني في المقاطعة، غنية جداً، تتمتع بمكانة اجتماعية رفيعة، تعيش في قصر فخم جداً، متميزة بين رفيقاتها الشابات بشجاعتها غير المحدودة. تصور ماذا يعني هذا بالنسبة لإمرأة شابة مثلها

ما زالت في العشرينات، لتقف كأول إمرأة حواريّة لرسول، هنا يمكنك أن تفهم هذه الحكاية.

في الجريدة الاسيوية لسنة 1866م الجزء 7 صفحة 474، قدمت صورة واضحة عن جناب الطاهرة، وجاءت الترجمة كالآتي:-

"كيف لإمرأة مخلوقة ضعيفة جداً في ايران، وبالتحديد في مدينة قزوين، حيث يحتل رجال الدين مثل ذلك النفوذ القوي، ويمتلكون القدرة على جلب اهتمام رجال الحكومة والمواطنين بسبب كثرة عددهم وأهميتهم وقوتهم، كيف تتمكن امرأة في مثل هذا البلد ومثل هذه المقاطعة وتحت مثل تلك الظروف القاسية، من القيام على أمر كهذا؟

هذا هو السؤال المهم الذي حيّر الكثيرين. حتى ان مؤرخ ايران سبهر قال:- "انها كانت حقيقة نادرة ليس لها مثيل في التاريخ".

لكي أقدم لكم حقيقة تاريخ هذه المرأة الشابة العظيمة، عليّ ان أذكر لكم أولا الألقاب التي عرفت بها في العالم. أعطاها حضرة بهاءالله لقب "الطاهرة"، ولقّبها استاذها في كربلاء سيد كاظم الرشتي " قرة العين "، وعرفت كذلك بأسماء أخرى،

"زرين تاج" (ذات التاج الذهبي) ولقبت أيضاً بـ "النقطة". أما اللقب الذي أعطاها اياه والدها، فلم يستعمل في التاريخ أبداً، مما يدل على مقدار طبيعة قوة حياتها الروحانية.

لهذه المرأة الايرانية الشابة قوة عميقة جداً، وتعرف هذه المَلَكَة بالبصيرة الثانية. لاحظت دائماً في التاريخ ان أولياء الله قادرين على التنبؤ بمستقبل الأحداث! وتساءلت مع نفسي في بعض الأحيان، هل كانت جناب الطاهرة لمّاحة بما فيه الكفاية لتقول:- "يا إلهي، أهب حياتي لتثبيت هذا الدين بين البشر". وهل كانت بحاجة أيضاً لتتدرب على الاشتياق الى تقديم حياتها كشهيدة لخدمة هذا الظهور العالمي الجديد؟ من المؤكد إننا نعلم انها في أول انبهارها الروحاني المتألق، شعرت بمسؤولية كونها واحدة من أتباع حضرة الباب. فلقد كتبت في إحدى قصائدها الأولى: "شاهدت على بوابة قلبي أثر وخيام فاجعتي!"

إنني أشعر إنها كانت تعلم مسبقاً بإستشهادها وقدمت استقبالاً رائعاً له. ومن خلال هذا النور يمكن للمرء أن يفهم روحانيتها الطاهرة وشجاعتها المقدامة ليس فقط تجاه الخطر المحدق بحياتها بل لكونها أول إمرأة في العالم الاسلامي الشرقي تجرأت على رفع النقاب عن وجهها خلال فترة قصيرة،

والـى إمتلاكهـا الشـجاعة الكافيـة للـذهاب الـى مـؤتمر بدشـت للتشاور مـع مجموعـة من الرجـال من أتبـاع حضـرة البـاب. إن فاطمـة الزهراء لـم تقدم المسـاعدة الـى والدها محمد(ص) أكثر ممـا قدمتـه جنـاب الطـاهرة لمسـاعدة حضـرة البـاب فـي إظهـار حقيقة هدفه.

يمكـن للمـرء أن يسـمع كلماتهـا وهـي تخاطـب الجمـع فـي بدشـت فـي مجلـس تشـاورهم حـول موضـوعين:- الأول كيـف نحـرر حضـرة البـاب من سـجنه. والثـاني هو الاعـلان الصـريح المباشر ان كان عليهم الاستمرار في العمل بالقوانين الاسلامية القديمـة، أو ان كـان حضـرة البـاب قد قدّم قوانينـاً جديدة وعليهم تأسـيس نظـام جديـد يتناسـب مـع الـدورة الجديـدة. ومـن الممكـن انها قالت في خطابها لهم بوجهها السافر:-

(إن صـوت السـافور الـذي أشـير اليـه فـي يـوم القيامـة والبعث هو صـوتي الآن لكـم! إنهضـوا يـا إخـواني، إن القرآن الكـريم قـد تُـم وبـدأت دورة جديـدة! ألسـت أنـا أخـتكم وأنـتم أخواني؟ ألا يمكنكم ان تنظروا إليَّ كصديقة حقيقيـة لكم؟ فإن كان ليس باستطاعتكم أن تبعدوا عن عقولكم الأفكار السوداء - لأنه لم يسمع في الدور السابق من ينادي بضرورة كشف وجه المرأة من خلف تلك الحجب الكثيفة - كيف ستتمكنون

من تقديم أرواحكم فداء لدين عظيم؟ ألم تلاحظوا وتدركوا ان عادة تغطية الوجه القديمة كانت لا ترضي محمد(ص) بدرجة كبيرة؟ ألم تسمعوا قط ان نساء الرسول محمد(ص) نفسه كن في رحلاتهن مكشوفات الوجه؟ ألا تتذكرون انه في بعض الأمور كان محمد(ص) يطلب من أصحابه الذهاب الى زوجته لطرح الاسئلة عليها؟ ولكن حتى لو كان هذا ليس من سنة محمد(ص)، فاليوم قد ظهر نور جديد غيَّر كل شيء! إن هذه هي ساعة البعث، لنملأ نفوس الرجال ببهاء الكلمة الالهية. دعونا نحرر نساءنا ونخلق مجتمعنا الجديد. دعونا ننهض من قبور الخرافات والأنفس ونقول ان يوم القيامة قد حلَّ، عندها ستستجيب كل الارض لحرية الضمير والحياة الجديدة! إن نفخة صور البعث هي أنا!).

هل لكلام جان هيوس أو مارتن لوثر، وقعٌ أشدُ من هذا الكلام؟ كلا! فعلى أكتاف حضرة الباب النحيلة القوية الطاهرة وعلى أكتاف حواريه القلّة وقعت أعباء مهمة تحطيم الخرافات والعادات القديمة جداً. كان على هذا ان يحدث قبل ان تبنى الحضارة الروحانية الجديدة على أسس متينة. لم يكن قد حدث مثل هذا في مختلف مراحل تطور الديانات منذ الأزل.

سافرتُ من بغداد الى قزوين في ايران في يناير 1930م على نفس طريق القافلة التي سلكته ذات مرة جناب الطاهرة، البطلة الالهية الشهيرة، ودخلت المدينة التي نشأت فيها. كانت روحي توّاقة لمعرفتها عن قرب! وتمنيت مشاهدة البيت الذي ولدت فيه في قزوين، لكن الاصدقاء أخبروني انه شيء مستحيل، فأقاربها مسلمون متعصبون، ولأنهم سابقاً كانوا مستائين جداً منها ومن الدين الذي أنشأه حضرة الباب، بقي الناس يعتقدون ان هذه الكراهية ما زالت معلقة بالديانة البهائية.

كان صاحب فندق جرانت هوتيل الذي نزلت فيه واقفاً على باب الفندق، فإذا به يشاهد أحد أقرباء جناب الطاهرة ماراً من أمامه، فدعاه للدخول وقدّم له كوباً من الشاي وقال له ممازحاً: "على عائلتكم أن تخجل منكم. إنكم مثل طين أسود ظهرت منه وردة نرجس! إن جدتكم الطاهرة محبوبة في كل بلدان العالم، إلا انكم لا تظهرون أي بادرة تقدير لها. لديَّ ضيفة أمريكية في فندقي مشتاقة جداً لمشاهدة البيت الذي عاشت فيه الطاهرة ذات يوم.

أجاب القريب: ان كانت تريد رؤية بيت الطاهرة، فسآخذها أنا اليه.

أجاب صاحب الفندق بتعجب: لا، لا يمكنك أن تفعل هذا!

أجاب القريب: نعم، يمكنني، وسوف أفعل.

وهكذا حصل، وذهبت مع صاحب الفندق والقريب المسلم الى البيت التاريخي لتلك المرأة الشابة الشهيرة. كان مكاناً كبيراً جميلاً بنوافذ مزخرفة، ويبدو انه كان في زمانه من أجمل المساكن في مناطق ايران في تلك الأنحاء. أطلعني القريب على جناح السيدات في القصر حيث ولدت جناب الطاهرة، ثم أخذني الى مكتبة جميلة رائعة في الطابق الثاني حيث كانت الطفلة الصغيرة تجلس للقراءة. البُنيّة التي أصبحت فيما بعد شاعرة وأول شهيدة في آسيا الوسطى من أجل تثقيف ومساواة المرأة ونزع الحجاب! أطلعني على السجن والقبو للقصر العظيم حيث سجن الوالد ابنته، لكن القريب قال بلطف: إن والد جناب الطاهرة كان يحب ابنته الموهوبة رغم انه كان يختلف معها بشدة في المعتقدات الدينية، ولقد سجنها في بيته الخاص محاولاً حمايتها من وحشية أولئك الذين كانوا مستعدين لكيّها بالسياخ لانتمائها الى الديانة البابية المكروهة، لكنه حتى هو، لم يستطع حمايتها، فلقد جاءوا وأخذوها بعيداً الى سجن المدينة.

عندما سجدتُ لأقبّل أرضية غرفتها وأصلي، حضر جميع أقاربها ووقفوا صامتين. لقد كانوا ودودين ومحترمين. وحال خروجي من غرفتها العزيزة، قال لي ذلك القريب: إنك أول بهائية تأتي من الغرب وتسأل عن الطاهرة وتشاهد بيتها وأحفادها.

فأجبته: لم يأت أحد من قبل لعدم امتلاكه الشجاعة الكافية! أقول لك الحقيقة، كنا خائفين جداً منكم جميعاً!

فقال لي هذا القريب بعد الصلاة والدموع تترقرق في عينيه: انني لست ضد الطاهرة، إنني أشعر انه لشرف لنا أن نكون أحفاد مثل هذه العائلة النبيلة. ان والدتي هي الأخت الصغرى للطاهرة.

بعدها، عاد معي الى الفندق وكان بيننا حديث طويل، وفي ذلك اليوم بدأت علاقة صداقة حميمة بين أحد أحفاد جناب الطاهرة وبهائية من الغرب. إنني أشتاق الى تلك الذكريات اللطيفة المقدسة والى رؤية ذلك المحامي الرائع قريب جناب الطاهرة يقف مع البهائيين وهو يقول: "الله أبهى". كان ذلك بالنسبة لي وأنا خارجة من ايران مفعمة بالطاقة الروحانية

والجسدية وهو واقف بينهم كمثال للوحدة التامة وكقوس قزح رائع النور ظهر في السماء فوق رؤوسنا؟

وتذكرت العديد من الأحداث التي أخبرني بها هذا القريب عن جناب الطاهرة، وكتبت كذلك بعناية كل ما قاله لي أحفاد البهائيين عنها، فأقدمه لكم رغم اختلاف التفاصيل، إلا ان الأحداث تُظهر نفس النور المشرق عن هذه المرأة البهائية الأولى، "حضرة جناب الطاهرة"!

ولدت جناب الطاهرة حوالي سنة 1819م او 1820م، كما سمعت، فلقد أحرق الكتاب الذي سجّل تاريخ ميلادها مع بقية كتبها وملابسها في اليوم التالي لشهادتها المؤسفة. الا ان المؤرخين والاحفاد الذين يعرفونها قد اتفقوا على انها ولدت بين (1817و1820م) وجاء في كتاب "مطالع الأنوار" ان جناب الطاهرة ولدت في سنة 1233هـ الموافق 1817–1818م وهي نفس السنة التي شهدت ميلاد حضرة بهاءالله. وبهذا يكون عمرها 36 سنة عندما تجرعت كأس الشهادة في طهران.

عندما كانت طفلة صغيرة كانت ذكية جداً، وكانت متشوقة جداً للمعرفة والعلم وتحفظ دروسها التي كان والدها يعلمها إياها بسرعة، حيث كان من أكبر العلماء والمجتهدين في

ايران، وفي النهاية خصص معلماً خاصا لها. كان ذلك شيئاً غير عادي بالنسبة للبنات في ذلك الوقت، فلم يكن لهن حظاً من الثقافة آنذاك. وقد فاقت أخوتها في تقدمها واجتهادها، واجتازت اختبارات صعبة في دراسة العلوم الدينية. لقد كان القليل من الرجال في زمانها يعرفون معاني القرآن والحديث والقوانين الاسلامية مثلما كانت تعرف هي. وبسبب كونها إمرأة، حجبوا عنها درجة الاجتهاد (مجتهد) التي كانت تستحقها بجدارة. وكان والدها يردد بحسرة دائماً: "من المؤسف انها لم تولد ذكراً. والا لكانت قد احتلت مكانتي بين علماء الامبراطورية المشهورين".

كان اسم والدها الحاج الملاّ صالح، له أخوين يدعى الكبير منهما الحاج الملاّ محمد تقي وهو عدو لدود للباب، والأصغر يدعى الحاج الملاّ علي، وقد أصبح فيما بعد من أتباع حضرة الباب المخلصين. زُوجت جناب الطاهرة الى إبن عمها الملاّ محمد ابن الملاّ تقي عندما كانت صغيرة السن تماما، ويقول بعض المؤرخون، انها كانت في الثالثة عشر من عمرها عندما تزوجت. وقد قال لي سليلها في طهران ايضا:- "ان عمرها كان ثلاث عشرة سنة عندما تزوجت، وكان لها ثلاثة أطفال، ولدين وبنت، وبعد مدة من استشهاد والدتهم، هرب هؤلاء

الاطفال من بيتهم بسبب معاملة والدهم القاسية، فذهب احد الاولاد الى النجف، والآخر جاء ليسكن قريبا من طهران، وتوفيت البنت بعد زمن قصير من وفاة والدتها".

كانت جناب الطاهرة منذ نعومة أظفارها شغوفة بدراسة علوم الدين، وذات يوم عندما كانت في زيارة الى بيت ابن أخ الملاّ جواد، اكتشفت في مكتبته مؤلفات كتبت بقلم العالمين الكبيرين الشيخ احمد الاحسائي وتلميذه السيد كاظم الرشتي. ولقد انجذبت بشدة لهذه الكتب وطلبت استعارتها الى بيتها لدراستها.

كان ابن خالها صاحب البيت، كاره جداً لاعارتها تلك الكتب في ذلك اليوم، لأنه قال لها: "إن شاهدك والدك وأنت تقرأين هذه الكتب في بيتك، فسيثور بشدة لذلك، فهو من المعارضين جداً لهذين المفكّرين الحديثين". وعلى كل حال، فقد أقنعت جناب الطاهرة ابن خالها المضيف في استعارة الكتب منه وأخذتها الى بيت أبيها حيث قامت بدراستها بعناية.

أخبرني بعض أقرباء جناب الطاهرة انها عاشت معظم حياتها في بيت أبيها حتى بعد زواجها وكانت مع والدتها دائما

حتى بدأت أسفارها. كان لها غرفة في بيت زوجها وفيها بعض المخطوطات والأوراق التي لم تحرق بعد وفاتها.

أود أن أوضح بعض تعاليم الشيخ الاحسائي لأنها تؤثر بشكل كبير في معتقدات الاسلام الثابتة التي تعلمتها جناب الطاهرة في بيتها. وقد قارنتها مع المباديء العميقة للقرآن وشعرت بأنها قوية. إن احدى عقائد الشيخية كانت بخصوص الاعتقاد بعودة الجسد، فهو يقول بأن الجسد لن يبعث من جديد ولكنه يتلاشى بعد الموت، بينما تبعث الروح الى الجنة وتسكن بمحضر الله. والعقيدة الاخرى ان الله كان في السابق يرسل الرسل او المربين دائما الى الناس لقيادتهم الى ملكوته وان هذه النعمة الالهية مستمرة ولا تنقطع.

وعقيدة اخرى للشيخية تتعلق بالمعتقد العام بين شيعة المسلمين هي أن هناك شخص جليل غاب لألف سنة وسيظهر كمعلم عظيم. وتقول الشيخية بخصوص هذا المعتقد ان هذا الموعود سوف لن يظهر بهذه الطريقة، لكنه سيولد من إمرأة ويُظهر نفسه لفترة قليلة في هذا العالم. هذا الاعتقاد الأخير كان مهما جداً وخلق اضطراباً كبيراً، لان المسلمين كانوا يتوقعون لمدة ألف عام ظهور هذا الشخص الجليل بنفس

الهيئة كما اختفى بها من قبل، لكنهم الآن عرفوا فجأة من الشيخية بأنه سيولد من إمرأة وسيأتي قريباً!

ان مهمة الشيخ الاحسائي هي إعلان بشارة ظهور حضرة الباب رغم انه لم يره أبداً. ولقد ذكر ايضاً علامات معينة للظهور يمكن تمييزها بعد ظهور حضرة الباب. وهنالك توضيح كامل لمعتقدات الشيخية يمكن قراءتها في كتاب "مذكرات سائح" الجزء الثاني، ترجم وطبع من قبل البرفسور أدوارد ج. براون من جامعة كمبردج في انكلترا.

ولد الشيخ احمد الاحسائي حوالي سنة 1745م. ولقد ترك الاحساء مكان ولادته وذهب الى كربلاء والنجف ليدرّس وينشر علومه الروحانية، وكان له هناك أتباع كثيرون وحاز على شهرة واسعة بحيث ان شاه ايران فتح علي، دعاه للوفود الى طهران، وخلال رحلته هذه في ايران توقف في قزوين وقام بزيارة الحاج الملا محمد تقي. وكان للرجلين نقاش حول حقيقة موضوع البعث. وخلالها وصم الملا القزويني الشيخ الاحسائي بالكفر والهرطقة وأظهر عداء سافراً له بحيث أجبر الشيخ الاحسائي على ترك المدينة (وكما ورد في "مطالع الأنوار" الذي طبع منذ كتابتي لهذا الكتاب في ايران سنة 1930، ان

الشيخ احمد توفي في 1827م عن ثمانين عاما ودفن في المدينة المنورة).

كانت جناب الطاهرة ما زالت طفلة في ذلك الوقت عندما إعتادت سماع والدها وعمها يستنكرون اعتقادات الشيخ الاحسائي، وسُمعت ذات مرة وهي تقول: "ان الشيخ على حق، وإن والدي وعمي على خطأ". فأجابوا عليها في ذلك الوقت: "إقرأي كتبنا ومؤلفاتنا، فنحن أكثر علماً من الشيخ الاحسائي".

لقد أخذت جناب الطاهرة كل الكتب التي تمكنت من العثور عليها حول تعاليم الشيخ احمد من مكتبة ابن خالها، وطلبت أيضاً كتابات السيد كاظم الرشتي ودرستها (وحسب ما جاء في كتاب مطالع الأنوار ان السيد كاظم ولد في رشت في مقاطعة جيلان سنة 1793، وقد حفظ القرآن قبل بلوغه سن الثانية عشر، وفي سنة 1806 سكن في اردبيل[1] وبعد ذلك ذهب للبحث عن الشيخ احمد وتتلمذ على يده في يزد، وكانا يعيشان معاً سنة 1817م في طهران. وذهب السيد كاظم الى كربلاء سنة 1822م ودرَّسَ هناك حتى وفاته سنة 1843م). ولقد أصبح التلميذ (السيد كاظم) رئيس الطائفة الشيخية بعد وفاة استاذه الشيخ احمد. ومن المهم معرفة شيء عن أفكار هذين القائدين العظيمين في تلك الفترة، لانهما فعلا مثل ما فعل

يوحنا المعمدان عندما أعلن عن قدوم السيد المسيح، وكذلك الشيخ احمد والسيد كاظم، فقد بشرا بقدوم حضرة الباب في القريب العاجل.

وكتب البرفسور ادوارد براون من جامعة كمبردج ان السيد كاظم عندما كان في سن الثانية عشر ويسكن في اربيل في العراق، شاهد رؤيا تقول له بان يضع نفسه تحت قيادة الشيخ الاحسائي الروحانية الذي كان يسكن آنذاك في يزد. فذهب وجلس يتتلمذ على يده.

وكما قلت في الفقرات السابقة انه أصبح خليفة الشيخ احمد. لقد كتب السيد كاظم اكثر من ثلاثمائة كتاب، وتوفي في كربلاء سنة 1843م فور عودته من الكاظمية. وقبل وفاته بفترة قليلة قال لبعض تلاميذه: "ان فترة اقامتي في هذه الدنيا قاربت نهايتها وان هذه هي آخر رحلاتي. فلماذا تحزنون وتضطربون من وفاتي؟ ألا ترغبون أن أذهب ويظهر القائم؟"

أو كما ذُكر في كتاب "مطالع الأنوار": "أليست محبتكم لي من أجل ذلك الحق الذي ننتظر ظهوره جميعاً؟ ألا ترغبون في وفاتي من أجل ان يظهر ذلك الموعود؟"

لقد تراسلت جناب الطاهرة تلك المرأة الشابة القزوينية مع السيد كاظم الرشتي لبعض الوقت، وكانت المراسلات بين الاثنين تتم عن طريق عمها الأصغر الحاج الملاّ علي، وسألته العديد من الاسئلة العميقة عن الدين، وبسبب ما تتمتع به من ادراك عظيم وصفات مثلى، فانه هو الذي أعطاها لقب "قرّة العين". ولقد لقّبها والدها بـ "أم سلمه" إلا انها لم تستعمله قط.

حاولت هذه التلميذة توضيح هذه التعاليم الجديدة لوالدها، لكنه كان يوبخها دائماً. وقالت انها وجدت العديد من المعاني في هذه الكتابات المستندة الى مفاهيم القرآن والأفكار الاسلامية.

وفي النهاية قالت لوالدها: "إني لا أرى أياً من هذه المزايا فيك أو في عمي تقي". وحاولت ان توضح له حقيقة البعث والوعود الالهية وظهور الموعود، لكنه كان يعارض كل هذه الأفكار. ذات ليلة، ذكرت جناب الطاهرة أحد أقوال الإمام جعفر الصادق إسناداً لدعواها. وبمجرد ان سمع والدها ذلك ثار غضباً وراح يسخر من هذا القول. فقالت له منبهة: "يا أبتي.. إنك تنتقد قول الإمام!" بعد ذلك امتنعت عن الحديث في أمور الدين مع والدها، الا انها كانت دائمة الاستفاضة والسؤال من السيد كاظم الرشتي في كربلاء بواسطة المراسلة.

كانت لها رغبة شديدة في الذهاب الى كربلاء للدراسة على يد السيد كاظم، ولقد ساعدها عمها الحاج الملاّ علي وساعد أختها في الحصول على الإذن من عائلتها للقيام بتلك الزيارة الى الأضرحة المقدسة في كربلاء والنجف، لكن رغبتها الحقيقية كانت زيارة استاذها بالاضافة الى القيام بزيارة المقامات.

من المحتمل ان سهولة حصولها على موافقة والدها وزوجها ووالد زوجها كانت بسبب اعتقادهم ان الزيارة سوف تعيدها الى معتقداتها السابقة! وعلى كل حال، فانه يقال ان هاتين الشابتين اللتين ذهبتا لزيارة كربلاء كانتا على درجة كبيرة من الجمال والمكانة الاجتماعية بين النبلاء. فالاثنتان كانتا غنيتين.

كانت هناك قرية تبعد حوالي خمسة عشر ميلا من قزوين، أهداها والد جناب الطاهرة اليها كاحدى هداياه، وأطلقت عليها جناب الطاهرة اسم "بهجت آباد" وتعني أرض البهجة.

كانت هذه السفرة في سنة 1843م، عندما كانت جناب الطاهرة في سن الثالثة والعشرين او كما يقول البعض في سن السادسة والعشرين، وكان لها ولدين وبنت. ولقد اشتهرت

كإحدى العالمات الشابات في عصرها ومن أجمل النساء المحبوبات. ان الصورة الوحيدة التي يمكن الحصول عليها للطاهرة، هي صورة روحانية، إذ لا يوجد لها لا صورة فوتوغرافية ولا صورة زيتية، وهذا ما قاله لي أقرباؤها. ولقد رسم الفنانون صورا عديدة لها، إلا انها لم تكن من الواقع، بل من خيالهم.

في تلك الايام، كانت تفكر فقط بظهور المعلم الجديد للعالم، ولقد ذكرت لعمها انها ترغب أن تكون أول إمرأة تخدمه عند ظهوره. لم يدرك أحد مثلها وضع ايران المزري وكم كانت حقوق المرأة مسلوبة بسبب التعصب الشديد السائد في ايران. قالت لعمها الملاّ علي: "آه.. متى يأتي ذلك اليوم الذي تنزل فيه قوانين جديدة على الارض! إنني سأكون أول من يتبع تلك التعاليم الجديدة وسأفدي نفسي من أجل بنات جنسي!"

تعتبر كربلاء والنجف في العراق من أعظم الأماكن المقدسة للزوار الشيعة المسلمين بعد مكة والمدينة في جزيرة العرب. وعلى كل حال، ذهبت جناب الطاهرة مباشرة الى بيت معلمها السيد كاظم الرشتي في كربلاء، وكان حزنها عظيماً عندما علمت انه ترك هذا العالم قبل وصولها بعشرة أيام. فأقامت في بيته، وبموافقة بقية أفراد عائلته، استطاعت الوصول الى العديد

من مؤلفاته التي لم يطبع البعض منها أبداً. فدرستها بشغف، وقالت لطلابه: "تأملوا كم ترك لنا الشيخ احمد والسيد كاظم الرشتي. لقد أورثونا بحراً من العلوم!"

أخبرني الأصدقاء في بغداد، ان جناب الطاهرة أقامت في كربلاء لمدة ثلاث سنوات. وذكر بعض الكتاب انها أخذت مكان السيد كاظم وبدأت بتدريس طلابه. كانت تجلس دائماً خلف ستارة، لأن النساء كن لا يظهرن بدون حجاب. بل كان يعتبر سماع صوت المرأة خارج جناح الحريم كعلامة من علامات الضلالة. ان العالم لا يعرف شيئاً يذكر عن النساء العظيمات اللائي اشتهرن في ايران ممن حصلن على تعليمهن وثقافتهن الجزئية نتيجة مخالطتهن جناب الطاهرة في كربلاء والسفر معها بعد ذلك الى المدن الاخرى. فمن بين مجموعة تلامذتها كانت خورشيد بكم الاصفهانية ولقبها شمس الضحى، التي أصبحت فيما بعد والدة زوجة سلطان الشهداء في اصفهان وجدة ميرزا جلال الذي تزوج ابنة حضرة عبدالبهاء روحا خانم في حيفا في فلسطين. ومن صاحباتها الاخريات والدة الملا حسين بشروئي الذي عرف فيما بعد بباب الباب، وأخته، لأنه كان أول من آمن بحضرة الباب.

وكتب حضرة عبدالبهاء في كتابه "تذكرة الوفاء" باللغة الفارسية فصلاً قصيراً عن جناب الطاهرة، ويعتبر أفضل وأصدق ما كتب عن حياتها. ولقد قرأ لي بشغف أحد المؤمنين في طهران ويدعى ولي الله ورقاء هذا الكتاب بصوت عال وترجم غالبيته، ومن بين العديد من نقاطه، أتذكر ان حضرة عبدالبهاء قال: (ان بعض تلامذة السيد كاظم الرشتي بعد وفاة معلمهم ذهبوا الى مسجد الكوفة ليصوموا ويبتهلوا ويتضرعوا لمدة اربعين يوما. وكان من بينهم الملاّ حسين بشروئي والملاّ علي البسطامي. وبقي الآخرون ينتظرون في كربلاء ومن بينهم جناب الطاهرة، فكانت تصوم وتتعبد خلال النهار، وفي المساء كانت تصلي وتدرس الكتب الدينية. ذات ليلة، شاهدت في رؤيا لها، شاباً من السلالة النبوية واقفاً في الهواء، ثم سجد وصلى، وسمعت أحدى أدعيته وحفظتها عن ظهر قلب، ثم أسرعت بتسجيلها عند استيقاظها).

وذكر بعض المؤرخين مثل البروفسور ادوارد براون في كتابه "التاريخ الجديد" انه بعد فترة التعبد التي قام بها الاتباع، بدأ العديد منهم في البحث عن القائم الموعود. وعندما همَّ الملاّ حسين بشروئي بالسفر الى شيراز، قالت له جناب الطاهرة بأنه سيلتقي بالموعود، وطلبت من أخيها الروحاني هذا ان يبلغ

المعلم الجديد ولاءها الشديد له ويسلمه الرسالة التي كتبتها. وعندما قابل الملاّ حسين بشروئي ميرزا علي محمد في شيراز الذي أعلن انه هو حضرة الباب، آمن به على الفور وقدّم له رسالة جناب الطاهرة، ومن ساعتها قبلها حضرة الباب كواحدة من أتباعه الثمانية عشر "حروف الحي" (ولقد أطلق على نفسه الحرف التاسع عشر).

وبهذا أصبحت جناب الطاهرة أول امرأة آمنت بالدين الجديد. وذكر في كتاب "كشف الغطاء" ان جناب الطاهرة قد أُبلغت برسالة حضرة الباب بواسطة الملاّ علي البسطامي الذي زار كربلاء في سنة 1844م (1260هـ) بعد عودته من شيراز.

وعلى كل حال، فمن المؤكد ان ما ذكر في "مطالع الأنوار" صفحة 81 كان دقيقا وجميلا بحيث أعيد ذكره: لما علمت جناب الطاهرة بسفر زوج أختها المدعو محمد علي من قزوين، سلمته خطابا مختوما وطلبت منه ان يسلمه الى ذلك الشخص الموعود الذي لابد وان يقابله أثناء بحثه، وأفهمته ان يقول له:

لمعات وجهك أشرقت * وضياء طلعتك اجتلى

قال ألست بربكـــــم * قلنـا بلى قلنـــا بلى

وقد قابل الملاّ محمد علي (حضرة الباب) وأقبل الى دعوته وسلّمه الخطاب وأوصل اليه الرسالة، فأقرها حضرة حضرة الباب ضمن حروف الحيّ. وكانت الوحيدة من بين حروف الحيّ الثمانية عشر التي لم تقابل حضرة الباب، إلا انها قد شاهدته ببصيرتها الخفية الثاقبة.

ويقال ان الملاّ حسين بشروئي بحث عن رفيقه الملاّ علي البسطامي الذي جاء الى شيراز للبحث عن الموعود، أما بقية الاتباع فذهبوا في اتجاهات مختلفة الى ايران والعراق للبحث عن الموعود الجديد، ولقد آمن الملاّ علي البسطامي ايضا بحضرة الباب، ثم أُرسل بعدها ليعود الى كربلاء حاملا البشارة، وأخذ معه واحداً من كتب حضرة الباب الموسوم "أحسن القصص"، وعندما قرأته جناب الطاهرة وجدت بين صفحاته الدعاء الذي سمعته في رؤياها. فغمرتها فرحة كبيرة لانها تأكدت ساعتها تماما، ان ميرزا علي محمد الموجود في شيراز، انه هو حضرة الباب الجديد (المظهر الالهي). ولقد قرأت جناب الطاهرة الكتاب بتمعن ولهفة، وارسلت وراء الملاّ علي البسطامي وسألته كثيراً عن حضرة الباب. فآمنت وبدأت على الفور بترجمة الكتاب الى الفارسية، وكذلك كتبت تعليقاتها الخاصة عن هذا الكتاب الأول. كما انها كتبت بعض الكتب

بالفارسية وألّفت قصائد عن حضرة الباب ونهضت بمحبة خالصة لتنفيذ واجباتها المقدسة.

وعندما يتساءل الناس إن كانت الديانة البهائية قد بزغت من الاسلام، فهنالك جواب واحد، نعم. بالضبط مثلما ظهرت المسيحية من الديانة اليهودية، لذلك يمكنكم ملاحظة ان جميع أتباع حضرة الباب الأوائل كانوا مسلمين وكان العديد منهم من رجال الدين، وكان حضرة الباب نفسه من نسل محمد(ص). وعلى كل حال، كانت تعاليمه جديدة، وإلا لما استشهد أكثر من ثلاثمائة من أعاظم رجال الدين في ايران في سبيل الأمر المبارك خلال العشر سنوات الاولى من عمره. وانه لم يطلق على نفسه اسم باب المعرفة إلا ليعلن عن أمر "من يظهره الله". ولقد ظهر حضرة بهاءالله فيما بعد كما أخبر عنه حضرة الباب تماماً، وكان حضرة بهاءالله نفسه الذي أنزل لهذا العالم الديانة البهائية، وهي من أعظم الحقائق الواجب معرفتها اليوم على الارض، لأنها المفتاح الرئيس لهذا العالم الدنيوي والعالم التالي، وانها الخطة الالهية لحضارة إلهية جديدة.

لا يمكن تصور انسان يرغب في الموت – رجلاً كان أم إمرأة – بدون ان يفعل شيئاً للانسانية والأجيال القادمة. لقد بنى الآخرون لنا، ومن المؤكد اننا لا نختلف عنهم حتى نفشل

في البحث عن أقوى خطة فعالة لتقدم البشرية من الناحية الروحانية. فدعونا ندرس التعاليم لنرى دعوتهم ونثبت هل هي حقيقة أم كذب! ان أفضل أثر نتبعه هو جناب الطاهرة، أو على الأقل ما يساعد العالم أكثر، هو دقتها الشديدة في البحث عن الحقيقة! لقد ابتدأت بذلك وهي طفلة واستمرت حتى يوم مغادرتها هذا العالم.

لقد سمع علماء الدين انها أصبحت من المؤمنات الموقنات بحضرة الباب وراحت تنشر هذه الحقيقة تماما في وسط المجتمع الاسلامي، لأن في كربلاء والنجف كان يعيش العديد من مشاهير علماء الدين. ومن المؤكد انهم شكوها الى الجهات الحكومية. فأعتقلت السلطات خورشيد بكم بعد البحث بدلاً عنها. وحالما علمت جناب الطاهرة بذلك، كتبت الى الحاكم تقول انها هي التي يبحثون عنها وطالبت باطلاق سراح صديقتها. فوضع الحاكم بيت جناب الطاهرة تحت المراقبة حتى لا يخرج أو يدخل اليه أحد، وكتب الى حكومة بغداد يطلب التعليمات. فراقب الحرس البيت لمدة ثلاثة شهور ومنعوا الناس منه. وعندما لم يأت رد من بغداد، كتبت جناب الطاهرة الى حاكم كربلاء تخبره عن عزمها في الذهاب الى بغداد لتنتظر تعليمات سلطات بغداد او استنبول هناك، لأن العراق

كان في ذلك الوقت تابعاً لتركيا. فسمح الحاكم بذلك، وسافرت جناب الطاهرة وخورشيد بكم ووالدة باب الباب وشقيقته مع العديد من النسوة الى بغداد. وعند حركتها من كربلاء قام الاهالي بتحريض من علماء الدين، برجمها بالحجارة.

بوصولهن الى بغداد سكنت المجموعة في بيت الشيخ محمد شبل العراقي، والد محمد مصطفى بغدادي (والد الدكتور ضياء بغدادي الذي عاش في شيكاغو في الولايات المتحدة لعدة سنين). وعند ذاك بدأت تبلّغ الأمر الجديد في كل يوم، وكانت تتكلم بقوة شديدة وفصاحة بحيث ان كل من شاهدها وسمعها قبل ذلك تعجب وقال: "إنها ليست المرأة التي نعرفها من قبل"، وبدأت محاضراتها تفتن الكثير من المستمعين، وأوجدت في مستمعيها رغبة حقيقية في التحري عن هذه الحقائق. وفي مدة قصيرة جذبت ببراهينها غير العادية وعلمها العميق واثباتاتها المقنعة العديد من الاتباع، وجاء الى بغداد العديد من طلابها في كربلاء لحضور دروسها. ونتيجة لمهاجمتها القوية لجذور سلطة علماء الدين، كان من الطبيعي ان ينهض العلماء بذعر شديد وبشكل عام لمهاجمتها، فنهض العديد منهم ضدها وضد كل من آمن بتعاليم حضرة الباب.

ومثلما حدث في كربلاء، حدث في بغداد، فلقد تحدّت علماء الدين – من خلال الحاكم – للحضور الى مناقشة علنية في أمور الدين الجديد.

ولقد تراسلت ايضا مع علماء الدين في قزوين، فاعتذروا ورفضوا ذلك، وطالبوا الحكومة بترحيلها مع رفيقاتها الى بيت مفتي بغداد، وكان اسمه ابن الآلوسي وهو ابن سيد محمود الآلوسي. فسكنت في بيته لمدة ثلاثة شهور، كانت خلالها تناظر العلماء وتدافع عن دينها. وفي كل تلك المدة كان الجميع في انتظار تعليمات السلطات فيما كان عليهم ان يفعلوه مع جناب الطاهرة. وكان المفتي يسألها كل يوم اسئلة علمية، ولم يبد أي استغراب من أجوبة جناب الطاهرة. ويقال انه قال لها: "آه يا طاهرة..! أقسم بالله العظيم إنني أشاطرك المعتقد، لكنني أخاف سيوف عائلة العثمانيين ".

وخلال تلك الأيام في بغداد، استمر تدفق العديد من الناس اليها لاستماع التعاليم الجديدة منها.

عندما كنت في طهران، سمعت من الدكتور ارسطو حكيم، كيف ان جده الدكتور حكيم مسيح – وكان طبيب الشاه الخاص ومحبوباً جداً من العائلة المالكة – انه جاء مع جلالته

الى العراق في زيارة الى كربلاء، وشاهد هذا الدكتور الكليمي سابقا (حكيم مسيح) خلال تجواله في بغداد جماعة كبيرة من المثقفين وغالبيتهم من علماء الدين وهم يستمعون الى محاضرة ثم الى مناقشة تلتها، مع سيدة تجلس خلف ستار. فذهب للاستماع اليها وكانت تحاجج هؤلاء العلماء بحديث معقول جداً وتغلبت عليهم وعجزوا عن دحض براهينها. فتعجب كثيراً، وعلى الفور اقتنع انها على حق ثم آمن بما كانت تدعو له، ولم يكن قد سمع عن حضرة الباب من قبل، وظن ان هذه السيدة لابد وان تكون هي الموعود. لقد استمع الى محاضراتها ثلاث مرات، بعدها أكمل زيارته مع الشاه وعاد الى طهران.

ذات مرة، قدَّم هذا الطبيب خدماته بالذهاب الى سجن طهران لرؤية رجل مريض جدا يدعى الملا أصدق اعتقل بتهمة البابية، وكانت فرصة للحصول على معلومات أكثر عن جناب الطاهرة وحضرة الباب.

في النهاية، كانت ثمرة ايمان هذا الطبيب المئات من البهائيين من أصل كليمي(يهودي) من القاطنين في همدان وطهران اليوم، وكان ولده طبيباً ايضا وان غالبية أحفاده أصبحوا أطباء ومن بين العلماء والمقتدرين ومن الخدّام

المخلصين للديانة البهائية في طهران اليوم. أمضى أحد أحفاده وهو الدكتور لطف الله حكيم بعض الوقت مع حضرة عبدالبهاء في حيفا، وكان هناك عندما صعد حضرة عبدالبهاء في 28 نوفمبر 1921، ونحن ندين جميعا للدكتور لطف الله حكيم للعديد من الصور الفوتوغرافية عن حضرة عبدالبهاء عندما منح لقب (سير) وعن صور أيامه الأخيرة في الحدائق وعن موكب التشييع. لقد قدمت عائلة حكيم خدمات جليلة للأمر المبارك منذ أوائل أيامه؟

يعزى لهذا المفتي الذي استضاف جناب الطاهرة في بغداد بطلب من الحاكم، تأليف كتاب باللغة العربية، قرىء بشكل واسع في الغرب وفيه تكلم عن جناب الطاهرة خلال اقامتها في منزله. قال: انه في كل صباح مع أول خيوط الفجر كانت تنهض وتشرع في الصلاة والمناجات والدعاء وكانت تصوم دائماً. وقال انه لم يشاهد إمرأة أكثر طهارة منها وأكثر ايمانا حتى في أكثر الرجال علماً وشجاعة.

ذات مساء استدعى والد المفتي ولده وراح يوبخه، وكان يحتقر جناب الطاهرة بعكس ولده المفتي، وقال له: ان رسالة وصلت الآن من استنبول وفيها يمنح السلطان الطاهرة حريتها

ولكنه أمرها بعدم البقاء في المناطق التركية وأمره بعمل الترتيبات اللازمة لمغادرتها العراق غداً.

وعلى الفور غادرت جناب الطاهرة وبقية النسوة بيت المفتي وجهزن أنفسهن للرحيل الى ايران. ان اصدقائي في بغداد قالوا لي ان ابن الآلوسي هذا كان معجباً بجناب الطاهرة لغزير علمها، وأخبروني انه قال: "إنني أرى فيها علماً وثقافة وأدباً وأخلاقاً عالية مما لم أشاهده بعظماء الرجال في هذا القرن". وقال أحباء العراق أيضاً: انه عندما دخل والد المفتي البيت وشرع بلعن جناب الطاهرة بعد أن علم انها تركت دين سيدنا محمد(ص)، خجل الإبن وتقدم بعد ذلك الى جناب الطاهرة يسألها الصفح، وتوسل اليها أن تغفر لوالده غلطته. إن المفتي نفسه هو الذي جاء ليقول لها:- "أنت حرّة، ولكن عليك الآن بتجهيز حاجياتك للسفر الى ايران بأمر السلطان".

وكان قد رافقها في رحلتها جمع كبير من الأحباء يزيد عددهم على الثلاثين شخصاً لمحبتهم لها وشعورهم بالخطر المحدق فوق رؤوسهم. ومن كياسة مفتي بغداد انه ارسل عشرة فرسان تحت امرة ضابط ليرافقوها مع أصحابها بمنتهى الاحترام والأدب من بغداد الى خانقين وحتى الحدود الايرانية. وكان من ضمن رفيقات سفر جناب الطاهرة خورشيد بكم ووالدة

ميرزا هادي النهري وآخرين. ومن بين الايرانيين السيد محمد يزدي والسيد محمد بايكاني والسيد محسن كاظمي والملاّ ابراهيم محلاتي، ومن بين العرب كان الشيخ محمود شبل الذي جهز كل شيء لرحلتها واستأجر البغال وأماكن الاقامة وشراء الطعام ودفع كامل مصاريف الجماعة من ماله الخاص حتى كرمنشاه وابنه محمد مصطفى. ومن العراق ايضا الشيخ صالح كريماوي والشيخ سلطان كربلائي والدرويش ماكوي وجواد وعبد الهادي زهراوي وحسين حلاوي والسيد جباني وآخرون.

عند وصول جناب الطاهرة وأصحابها الى كرمنشاه، أعد للنسوة أحد البيوت وللرجال بيت آخر، وحالما علم السكان بوصولهم أسرعوا اليهم لسماع التعاليم. وخلق العلماء فوضى كبيرة وتسببوا في طردهم وسمح رئيس بلدية كرمنشاه للغوغاء بمهاجمة بيوتهم ونهبت كل ممتلكات البابيين، ووضع أتباع حضرة الباب في عربة كبيرة تجرها الجياد وسيقوا خارجا الى الصحراء، حيث تركوهم لوحدهم في العراء، وهناك أعادوا الجياد معهم الى المدينة وتركوا العربة بدون جياد. كان هؤلاء المسافرين في حالة مزرية، فلم يكن معهم لا طعام ولا ملابس احتياطية ولا أغطية. فكتبت جناب الطاهرة الى حاكم كرمنشاه وشرحت له ماذا فعل بهم رئيس البلدية وأضافت: "لقد كنّا

ضيوفك في كرمنشاه، فهل تعتقد انه من اللطف معاملتنا بهذا الشكل؟" وذهب أحد المسافرين الى كرمنشاه ليسلم الرسالة.

استغرب الحاكم جدا عند استلامه الرسالة، لأنه كان جاهلا بهذه المظالم وعلم ان كل الذي حصل كان بتحريض من علماء الدين، وعلى الفور أمر رئيس البلدية بإعادة كل الممتلكات التي نهبت الى هذه الجماعة واعادة الخيول اليهم والتأكد من وصولهم الى همدان سالمين. وقد دعاهم للعودة الى كرمنشاه مرة ثانية، الا ان جناب الطاهرة رفضت ذلك.

وحسب ما جاء في كتاب "مطالع الأنوار" ان استقبالا حماسياً كان بانتظارها عند وصولها الى كرمنشاه وان الأمراء وعلماء الدين ورجال الدولة قد أسرعوا لزيارتها، وكانوا قد تأثروا جدا من فصاحتها وشجاعتها وحكمتها البالغة وخصالها الحميدة. ولقد قُريء تفسير سورة الكوثر النازل من قلم حضرة الباب أمام الناس وتُرجم. وكان من بين النساء اللاتي قابلن جناب الطاهرة واستمعن لشرح تعاليم حضرة الباب المقدسة زوجة الأمير حاكم كرمنشاه، ولقد اعتنق الأمير وعائلته الديانة الجديدة وشهدوا جميعاً بمحبتهم وتعلقهم بجناب الطاهرة.

واستنادا الى محمد مصطفى في كتاب "مطالع الأنوار" (ص 278) ان جناب الطاهرة مكثت يومين في قرية ساهنية في طريقها الى همدان حيث حظيت بلقاء لا يقل حماسا عن الذي استقبلت به في قرية كرند. وتوسل سكان القرية السماح لهم بالانضمام الى موكبها وتقديم المساعدة لها ولأتباعها، لنشر الامر المبارك. الا انها باركت وشكرت مسعاهم ونصحتهم في البقاء في قريتهم، ثم توجهت الى همدان.

وهكذا استمرت الرحلة، وخلال الطريق وخصوصا من ساهنية، كان رؤساء القبائل يرحبون بها. وعند وصولهم الى همدان كانوا جميعا سعداء، فقد حظوا باستقبال رائع. وقامت الاميرات والنساء الشهيرات بزيارتها والاستماع لتعاليمها.

ليس من العجب انهم كانوا يرغبون في الحديث معها، لانها كانت تحمل الحقيقة. وكما قال البروفسور ادوارد براون: (إن ظهور إمرأة مثل الطاهرة في أي بلد وفي أي عصر هي حالة نادرة او حدث نادر، لكن ظهورها في بلد مثل ايران فهو اعجوبة، لا بل انه معجزة تماما. ومثلما كانت في عفتها وجمالها الرائع ومواهبها العقلية الفذة وفصاحتها المتوهجة وايمانها الشجاع واستشهادها المجيد، كان وقوفها نادراً ليس لها مثيل بين نساء بلادها وبقيت ذكراها خالدة الى الأبد. إن كان

ليس لدين الباب من إدعاء عظيم، فيكفيه انه أظهر بطلة مثل قرة العين "الطاهرة").

وعلى كل حال، فقد كان من بين رؤساء الدين في همدان شخص واحد، عادى جناب الطاهرة تماما وكان يحث الناس على قتلها، لكنه كان يخشى الحكومة. فكتبت له رسالة طويلة توضح فيها تعاليم حضرة الباب وارسلتها له بواسطة الملا ابراهيم محلاتي أحد أتباعها المخلصين. فوصل الرسول وهو يحمل الرسالة في ساعة اجتماع العديد من علماء الدين في مجلس لتقرير طريقة يواجهون بها جناب الطاهرة وما سيفعلون معها. فكانت هذه الرسالة كعلم أحمر اللون خفّاق أمام ثور هائج، فقام المجتمعون على حاملها الملا ابراهيم وأشبعوه ضرباً حتى فقد الوعي. وعندما أعيد محمولاً الى جناب الطاهرة، لم تبكه مثلما توقعت الأميرات ان تفعل، واستغربن جميعاً عندما سمعنها تقول له: "يا ملاّ ابراهيم، هذا هو الوقت الذي نكون فيه مستعدين لتقديم حياتنا، ألم يفعل حواريو المسيح ذلك، وكذلك فعل أصحاب محمد(ص)؟" وفعلاً، بعدما شفي الملا ابراهيم من حالته، عاد للخدمة ثانية.

كانت جناب الطاهرة تخطط للذهاب الى طهران في محاولة منها لمقابلة السلطان محمد شاه لتخبره عن التعاليم الجديدة،

إلا ان أحد رجال الدين من الذين رفضوا مقابلتها ومناقشة الدين الجديد معها عندما كانت في كرمنشاه، كتب سراً الى والدها يخبره ان ابنته تحتقر مكانة العلماء المرموقة. فأرسل والدها على الفور، ابنه ومعه بعض الاقرباء الى همدان للترحيب بها وحثها على العودة الى منزلها. وعندما علمت انهم في طريقهم اليها، قالت لأصحابها: "إنهم قادمون الينا، علينا العودة الى قزوين قبل وصولهم الينا". وأرسلت عدداً من أتباعها المخلصين ليعودوا الى العراق، وتركت قسماً في همدان، ورافقها البقية منهم. وكان من بين المجموعة الأخيرة خورشيد بكم والشيخ صالح كريماوي والملا ابراهيم المحلاتي. فقابلوا أقرباءها الهائجين الذين قدموا للبحث عنها وأصطحابها بمفردها الى بيت أبيها، ورفضت تلبية طلبهم، وقالت: "أنني لست وحدي، هؤلاء هم أصحابي ويجب أن يأتوا معي". فسافر الجميع معاً. وكانت رحلة قاسية جداً بطقس سيء استمرت مدة اسبوع.

الفصل الثاني

الأحداث في قزوين وطهران

عند وصول جناب الطاهرة الى قزوين، ذهبت لتسكن في بيت أبيها، وسكن الأعراب في أحد الخانات. في تلك الليلة اجتمعت الأسرة في جلسة عائلية، وقام والدها وزوجها وعمها الذي كان والد زوجها ايضا على توبيخها. وفي ذلك الموقف المثير، قال لها والدها: "إن أدعيت أنتِ مع كل علمك وثقافتك وذكائك، إنكِ أنت الباب أو حتى أكثر من ذلك، فسوف أكون مستعداً للموافقة والقبول بدعواك، لكن ماذا عساي أن أفعل عندما اخترت إتّباع هذا الفتى الشيرازي؟".

جاء في "كتاب التاريخ" الجديد تعليقاً على هذه المناقشة، ما يلي: "يا للسماء..! لا يمكن تصور تعجرف واجحاف هذه العائلة في مثل هذه الأحداث! عندما يشاهد أحدهم إبنته برغم مواهبها ومقدرتها الفذة، انها تعتبر نفسها ليست سوى تراباً بالمقارنة الى شمس الحقيقة"، أو عندما تعلن: "مع كل المعرفة التي أملكها، فمن المستحيل عليَّ أن أخطأ في معرفة من هو سلطان العالم، الذي ينتظره كل الناس بلهف، لقد عرفته حقاً بالبراهين والأدلة العقلية ؛ وما معرفتي ومقدرتي العقلية ألا

كقطرة صغيرة مقابل ذلك البحر الواسع العظيم أو هي كهباءة تافهة أمام ذلك النجم اللامع العظيم". وعلى الرغم من كل هذا، أجاب والدها: "إذن إنك تعتبرين ذكاءك وعلمك بهذه الدرجة من الصغر بالمقارنة مع مواهب ذلك الفتى الشيرازي، ومع ذلك، فلو كنت ولداً (بدلاً من بنت) وإدعيت مثل هذا الادعاء (إنكِ الباب نفسه) فسوف أقبل دعوتك".

وفي ثورة عمها الملاّ تقي الذي هو والد زوجها – كما قلنا – بدأ بلعن حضرة الباب وهاج غاضباً ونهض ليضربها عدة مرات. وببديهيتها الملهمة، تفوهت بهذه الكلمات متنبئة عن مستقبله، مما سبب لها في النهاية أن تكوى بالحديد المحمى، فقالت: "يا عمي.. إني أرى فمك وهو مملوء بالدماء!".

وخلال النقاش، برز موضوع عودتها الى بيت الزوجية، الذي رفضته تماماً. فحاولوا قدر استطاعتهم ثنيها عن قرارها، فلم تقبل بالاتفاق مع زوجها الملا محمد. وشرحت أسبابها قائلة: "باعتراضه على دين الله، فهو نجس، وليس بيننا شيء مشترك". أو كما ذكر في كتاب "مطالع الأنوار"، فقد أجابت جناب الطاهرة على طلبه: "لو إنك كنت ترغب حقاً أن تكون زوجاً ورفيقاً مخلصاً لي، لأسرعت في استقبالي في كربلاء ومشيت على قدميك لمرافقة هودجي طوال الطريق الى قزوين،

ولتمكنت خلال سفري معك من ايقاظك من غفلتك ونومك ولأرشدتك الى طريق الحق. لكن ذلك لم يحدث. لقد مرّ على انفصالنا ثلاث سنوات".

لم يكن هذا الزواج باختيار جناب الطاهرة، لقد كان الآباء في تلك الأيام هم الذين يهيئون مراسيم الخطبة والزواج. ولقد طلقها زوجها بعد عدة اسابيع من تلك الحادثة، وإتهمها هو وأبوه بالكفر والهرطقة. وجاهدا ليل نهار للتقليل من شأنها ومكانتها.

وخلال الايام الاولى من عودتها، اعتادت جناب الطاهرة الذهاب الى بيت أحد أقربائها حيث تتمكن من مقابلة زوجات مشاهير الرجال وتتكلم معهن صراحة عن تعاليم حضرة الباب. ولقد كان صهرها (أخو زوجها) وأخته من المؤمنين ايضا. واستناداً الى جناب سمندر وهو من المؤمنين الأوائل في قزوين، ان – مرضية – أخت جناب الطاهرة كانت زوجة ميرزا محمد علي أحد حروف الحيّ والذي تجرع كأس الشهادة فيما بعد في قلعة طبرسي. ولقد عرفت – مرضية – أمر حضرة الباب وآمنت به. وكان ميرزا محمد علي هو ابن الحاج الملاّ عبد الوهاب الذي خاطبه حضرة الباب في أحد ألواحه عندما كان قريبا من قزوين.

كان الملا تقي امام الجمعة وعم كل من جناب الطاهرة وأختها مرضية، وهذا يعني انه كان رئيس رجال الدين في المدينة، ويقوم بإمامة صلاة الجمعة في المسجد.

ذات فجر هادئ والسكون يعم المدينة..

فجأة.. ارتفع الصراخ والصياح في كل مكان بخبر مقتل الملاّ تقي في المسجد[2]. وعلى الفور تذكر ابنه وجميع أفراد العائلة كلمات جناب الطاهرة: "إني أرى فمك وهو مملوء بالدماء!". فإتهموها بتحريض القاتل او على الأقل بسابق معرفتها بكل شيء عن الحادث. مع ذلك قالت والدتها: "كيف يمكن لشخص ما معرفة نهاية شخص آخر بكل هذه الدقة، إلا من خلال رؤيا صادقة؟"

لقد أخبرني أقرباء العائلة أن والدة الطاهرة كانت تشعر ببراءة ابنتها، لقد كانتا قريبتان من بعضهما البعض دائماً.

وهنا أنقل لكم بعض الفقرات من جناب سمندر قزويني، هذا البهائي العظيم المعمر الذي كتب ذلك خصيصاً للدكتورة سوزان مودي في طهران، وكان قد طُلب منها ان تكتب شيئاً عن جناب الطاهرة الى السيدة كاري جابمان كات رئيسة اتحاد حقوق المرأة العالمي لمؤتمرهن في بودابست في هنغاريا في

شهر حزيران 1913، لتنشره في كتاب طبع عن مشاهير النساء. إلا ان الرسالة تأخرت في الوصول الى الدكتورة مودي، لهذا لم يرسل شيء الى بودابست، لكن هذا الجزء عن جريمة القتل كان مهماً لأنه مسجل من قبل شخص كان صبياً صغيراً في قزوين في ذلك الوقت ويتذكر الحادث بدقة قال:

"سمع أحد رجال الدين ويدعى عبد الله صالح الشيرازي، أن الحاج الملا تقي غالباً ما يشتم الشيخين، ولم يكن عبد الله صالح مؤمناً بحضرة الباب في ذلك الوقت، لكنه كان متعصباً بشدة للشيخ احمد الاحسائي والسيد كاظم الرشتي. فذهب ذات ليلة الى المسجد الذي يصلي فيه الملا تقي وإختبأ فيه حتى الفجر. وعندما جاء الملا تقي للصلاة في الفجر، هجم عليه هذا الرجل وطعنه بخنجر في فمه، ثم خبأ الخنجر تحت جسر قرب المسجد وهرب. ولم يكن يعلم عن الحادث في ذلك الوقت غير الله. وعندما تجمع الناس لاداء الصلاة، أدركوا ان الملاّ تقي قد هوجم وقتل. فأخبروا ولده وبقية أقربائه وحملوا الجسد الى البيت. ويشهد الله عليَّ لما جرى في ذلك اليوم في قزوين من هياج.

ولاعتقاد الناس ان جناب الطاهرة وبقية الأحباء هم الفاعلون، أمر ضباط الحكومة باعتقال بعض مشاهير

المؤمنين، ودخل جمع من طلاب الدين الى بيت الحاج سيد أسد الله (مؤمن مخلص وكانت ابنته حماة جناب الطاهرة)، فاعتقل هو وابن أخيه أقا مهدي لكونهما كانا موجودين في البيت وأخذا الى السجن.

ونهب الغوغاء بيت كل مؤمن يمت بصلة قرابة للمؤمنين. لقد كنت صبياً صغيراً، لكنني أتذكر جيداً "سيد محسن" ذلك الرجل الذي اشتهر بلقب "معذب وقاتل البابيين"، كان برفقته العديد من الضباط والجلادين عندما طرق باب بيتنا. فلم يفتح أحد، لذلك تسلقوا الجدار ودخلوا وبحثوا في أرجاء البيت وحاولوا اقتحام بعض الغرف المقفلة آنذاك. فما كان من رب البيت إلا ان قام بفتح الأبواب المقفلة، بينما كان جميع افراد العائلة يرتعدون خوفاً من تصرفات أولئك الرجال المرعبة. فخاطب السيد محسن النساء بقوله: "إن زوجكن قد ارتد عن دينه وباستطاعتكن الزواج من أي شخص ترغبن".

واستناداً الى الشك بتخطيط جناب الطاهرة مع الحاج سيد أسد الله لقتل الملاّ تقي، طلب ولده الملاّ محمد، زوج جناب الطاهرة من الحاكم احضارها الى المحاكمة. فرفض والدها ذهابها، إلا انهم أخذوها بالقوة ومعها خادمتها – كفيّة – وبعض النسوة الأخريات. واستجوبن في دار الحكومة، فكان

جوابهن: "لا نعلم أي شيء عن هذا الحادث". إلا ان الملاّ محمد، بقي يطالب الحاكم بمعاقبتهن بشدة. مما حدا بالحاكم الى الرضوخ لطلبه، وأمر الجلادين بإحضار الحديد لكيّهن. ولكي يرعبوا جناب الطاهرة وضعوا يدي خادمتها كفيّة تحت مزلاق الباب وهمّوا بحرقها من الجانب الآخر. فأدركت جناب الطاهرة تحت وطأة هذه الظروف الرهيبة انه لا ملجأ لهن إلا بالتوجة الى الله، فإتجهت بوجهها السافر نحو سجن حضرة الباب في ماكوه، وشرعت في الصلاة والتضرع، لقد كان الوضع في تلك اللحظة بعيداً عن الوصف.

وفجأة، علا صوت في الخارج يصيح: "لقد وجدوا القاتل!". وعند ذلك تحول الاهتمام تماماً للسؤال: من هو القاتل وأين وجد؟ وبهذا لم يحصل الكي. ثم علم بعد ذلك ان القاتل هو الملاّ صالح الشيرازي الذي عندما شاهد الاضطراب الشديد في المدينة واعتقال الأبرياء، توجه بنفسه الى دار الحكومة واعترف بجريمته قائلا: "أنا الذي غرزت الخنجر في فمه. وليس لي شركاء. وإنكم أعتقلتم أهل الله بدون سبب".

فسألوه: لماذا قتلت مثل هذا الرجل العالم؟

فأجاب: لم يكن عالماً، لقد سرق قليلاً من عناقيد عنب الثقافة. فلو كان رجلاً حكيماً لما استعمل كلمات بذيئة على المنبر ضد معلمي الشيخ احمد الاحسائي والسيد كاظم الرشتي. لقد قتلته لهذا السبب فقط.

فجلبوه الى محكمة العدل العليا ليقابل الملاّ محمد زوج جناب الطاهرة والحاج الملاّ صالح والدها. وقدم للمحاكمة فحوكم واعترف بفعلته بمنتهى الصراحة.

فقالوا: "انه يكذب".

فأجاب: "إن الخنجر الذي استعملته وطعنته به في فمه، مخبأ تحت جسر قرب المسجد!

فأرسل شخص الى المكان، ووجد الخنجر وأحضره. فقال الملا محمد بغضب: ان هذا الرجل لا يستحق ان يكون قاتل أبي.

فأجابه الملا صالح: أحضر لي لباساً مناسباً لطيفاً حتى يبدو قاتل والدك ذو شأن.

عندها ربط بسلاسل ثقيلة حول عنقه وارسل الى السجن. فراح أهل المدينة يأتون جماعات لالقاء نظرة عليه من خلال

نوافذ السجن. وكان من بينهم سيد محسن الذي ورد ذكره سابقاً، والذي راح عند اقترابه من بوابة السجن يشتم الملا صالح بكلمات بذيئة، فقفز السجين عليه على الفور مثل ليث شجاع ورماه بمسمار سلسلته، فإستدار السيد محسن وفرّ هارباً.

وخلال هذا الوقت، وبينما كان زوج جناب الطاهرة يعذب المؤمنين ويطالب بالعديد من الارواح مقابل حياة والده، كانت هي محتجزة في بيت والدها وممنوعة تماماً من الاتصال بالعالم الخارجي.

وحاول زوجها الملا محمد وابن عم آخر لها، تسميمها، إلا انهما فشلا في ذلك. ولم يستطع أحد من أصحابها زيارتها ما عدا خاتون جان الإبنة الكبرى للحاج أسد الله. وكانت هذه المؤمنة الصديقة المخلصة، عبقرية جداً في خلق الأعذار للذهاب الى مكان حبس جناب الطاهرة. فكانت تتخفى في بعض الأحيان بشكل غسّالة ملابس، وبهذا كانت تحصل على الأخبار أو تحمل للسجينة الطعام، لأن جناب الطاهرة كانت ترفض تناول الطعام الذي يجهز لها داخل البيت. وهكذا كانت تتحمل العيش تحت هذه الظروف الصعبة القاسية.

كان أقا محمد هادي زوج هذه الصديقة المخلصة – خاتون جان – هو الأخ الأكبر[3] لجناب الطاهرة، وقد أخبرني جناب أقا محمد جواد فرهادي المشهور بين جميع البابيين باسم "عمو جان"، ان هذا الأخ أقا هادي قد غادر قزوين سراً في وقت مقتل الملاّ تقي وذهب الى طهران ودخل محضر حضرة بهاءالله الذي أمره بالعودة الى قزوين لمساعدة جناب الطاهرة وإحضارها الى طهران. ولقد حمل لها لوحاً من حضرة بهاءالله سلمته لها زوجته بنفس الطريقة السابقة.

وبعد قراءة الرسالة، قالت لها جناب الطاهرة: "إذهبي وسأتبعك". وخلال ساعة واحدة تحركت. فأخذاها الى بيت أحد النجارين حيث لا يمكن لأحد ان يفكر في البحث عنها هناك. لم يدم أمر اختفائها طويلا، فلقد اكتشف غيابها بسرعة، وعلى الفور، طغت الفوضى على المدينة وقام الغوغاء بنهب بيت الحاج أسد الله. وخلال نفس تلك الليلة، أخذ أقا هادي يساعده أقا قلي وهو خادم ومؤمن مخلص للطاهرة، أخذاها الى سور المدينة بجانب بوابة شاه زاده حسين. ونجحوا في عبور السور وذهبوا الى مسلخ خارج المدينة حيث كان بانتظارهم بعض الخيول هناك، فإمتطوها وتوجهوا نحو طهران سالكين طريق القرى مثل "ولداريه" و "اشتهارد". وعند وصولهم الى مرقد امام

زاده حسن الذي يبعد أربعة أميال عن طهران توقفوا لأول مرة هناك. فإهتم أقا قلي بالخيل بينما راحت جناب الطاهرة تأخذ قسطاً من الراحة، أما أقا هادي فذهب الى طهران ليعلن عن وصولها. وحدث أن ذهب أحد المؤمنين ويدعى كربلائي حسن الى الحديقة لملاقاتها، الا ان أقا قلي لم يسمح له بذلك لعدم معرفته المسبقة به ولم يسمح له بالدخول، إلا انه حاول الدخول مستهزءاً منه، فضربه أقا قلي على صدره مرتين، وهنا تقدمت حضرتها للمساعدة، وقدمت للضيف بعض الفواكه وراحت تتحدث معه حتى جاءت مجموعة من الفرسان وأخذوهم الى بيت حضرة بهاءالله[4].

ثم أخذوها في اليوم التالي الى قرية كان يسكنها العديد من المؤمنين. ولقد كوفيء أقا قلي كثيراً لاخلاصه، ووفق خلال حياته وفي النهاية أصبح ضابطاً كبيرا في الحكومة. ولقد دخل هذا الرجل الى محضر حضرة بهاءالله. أما بخصوص هذا الموضوع فليس عندي تفاصيل محددة، وكذلك لا أعرف بأي وسيلة أخذت حضرتها مرة ثانية الى طهران ولا الحقائق الثابتة عن استشهادها. (التوقيع سمندر).

كُبِّلَ ميرزا ملا صالح الشيرازي، قاتل الملا تقي بالسلاسل وأرسل الى طهران. وبعد وصوله الى طهران، وبالرغم من

اعترافه بجريمته تخليصاً للمؤمنين الأبرياء، إلا انه لم يطلق سراح أحد منهم. وذات ليلة هرب من سجنه والتجأ الى بيت رضا خان ابن رئيس اسطبل الخيل التابع لمحمد شاه. كان رضا خان مؤمناً، وبعد عدة ايام قضاها بصحبة ضيفه، آمن الميرزا صالح بأمر حضرة الباب خلال وقت لجوئه، ثم هرب الى قلعة طبرسي في مازندران. وأرسل خلفه فرسان من الشرطة للبحث عنه، إلا انه وصل الى القلعة بأمان[5].

كما ارسل بعض السجناء البابيين ثانية الى قزوين حيث قتلوا. ويقول "تاريخ الجديد": "بقي هؤلاء السجناء الابرياء في السجن، ومع ذلك، بذل ابن الحاج الملا محمد تقي ما في وسعه للحصول من رجال الدين في طهران على فتوى باعدام أحد السجناء، الا انه لم ينجح. ثم قام باتهام المؤمنين بهذا وذاك من تعاليم حضرة الباب، فأمر جلالة الملك محمد شاه، العالِم المجتهد أقا محمود من طهران بالتحقق والبحث في عقيدتهم. لذلك أحضروا السجناء أمامه، وعندما تم استجوابهم اتضح بطلان دعوى الملا محمد بخصوص البابيين.

في النهاية ذهب الملا محمد لملاقاة جلالة الملك ومزق قميصه وشرع في البكاء وقال "لقد ذبحوا الحاج ملا محمد تقي، ولن يعوضه دم أحد؟"

فأجابه الشاه: "لقد هرب القاتل الذي اعترف بجرمه من السجن. فاذا كانت رغبتك في تطبيق القانون، فلا قانون اداري ديني سيحكم على رجل بريء بالموت بدلاً من القاتل الهارب. وان كنت تطلب انتقاما غير قانوني، فلماذا تتعلق باسم القانون؟ أذهب وأقتل واحداً منهم".

لذلك أخذوا الشيخ صالح العربي وهو رجل طيب ذو قلب طاهر كما ثبت في العديد من المواقف وأجهزوا عليه بتفجيره من فم مدفع.

ثم طالب الملاَ محمد بالسماح له بأخذ بعض السجناء الآخرين الى قزوين، وكان أحدهم الشيخ المبلّغ طاهر الشيرازي والثاني الملا ابراهيم محلاتي، حتى يرثي ذكرى والده بدفعهم في السير حول قبره ثم يتركهم بعدها لحال سبيلهم. فوافق جلالة الملك على هذا الطلب. الا ان بعضهم قتل بوحشية تامة خلال الطريق الى قزوين. وعندما كان يحوم باقي السجناء حول القبر، أوثقوا الشيخ طاهر الى شجرة وعذب حتى الموت. كما قتل الملا ابراهيم ببشاعة نتيجة تحريض العامة المجتمعين حول القبر لنفس السبب. وهكذا كان طلاب جناب الطاهرة، الشيخ صالح العربي والملا ابراهيم من أوائل المؤمنين الذين سفكت دماؤهم على التراب الايراني في سبيل أمر الله.

وأول من قدر لهم من تلك الصحبة الجليلة أن يختموا بدمائهم نصرة أمر الله المقدس. أما الحاج أسد الله القزويني، المؤمن المسن الذي فعل الكثير لمساعدتها، فقد مات من البرد والارهاق في الطريق الى طهران عندما أخذوه الى هناك أسيراً.

كانت جناب الطاهرة في ذلك الوقت، ضيفة في بيت حضرة بهاءالله في طهران رغم البحث الجاري عنها، وكانت منشغلة بالتبليغ فردياً كل يوم وتتكلم من خلف ستارة. وكان الناس مستغربين لمشاهدة العديد من الاشخاص وهم يدخلون ويخرجون من بيت حضرة بهاءالله، ولتردد العديد من المؤمنين على قصره. فقد كان والده وزيراً ورئيس سكرتارية جلالة الشاه الامبراطوري قبلها.

لقد شاهدت بيت حضرة بهاءالله في طهران، ويبدو انه كان غنياً جداً، كان البيت مكوناً من سبعة بيوت متصلة ببعضها. كما كان له بيتاً صيفياً خارج المدينة على سفح جبل البرز. ولقد أصبح من أتباع حضرة الباب، مباشرة بعد باب الباب سنة 1844م. ولم يلتق حضرة الباب أبداً. وكانت بينهما مراسلات كثيرة.

وكما ذكرت في البداية، فان جناب الطاهرة لم تشاهد حضرة الباب وكانت تشتاق للذهاب الى ماكوه للقائه. ولقد أوضح لها حضرة بهاءالله استحالة ذلك.

لقد مُنح المؤمنون الإذن من حضرة الباب بزيارة خراسان اذا أمكن، ليتعلموا من باب الباب ويتشرفوا به. فقررت جناب الطاهرة ان تقوم بذلك، إلا انها في ايام مكوثها في طهران، استطاعت بسرعة تمييز مقام وروحانية حضرة بهاءالله وكانت تستشيره في كل الامور.

عندما كنت في طهران، سمعت من أحد أحفادها موضوعاً غريباً، إلا انني شخصيا أعتقد به، قال: ان جناب الطاهرة أخبرت الشاهنشاه انها تؤمن بحضرة بهاءالله، وانه أمرها بنشر أمر الدين الجديد.

فأعدت سؤالي إن كان ذلك لا يعني شخص حضرة الباب نفسه؟ وللمرة الثانية، أجاب: كلا. انه حضرة بهاءالله!

من المؤكد انها عرفت دور حضرة بهاءالله من خلال بصيرتها الثاقبة ودوره في هذه الديانة العالمية. ولقد أثبت ذلك كل تصرف صدر منها بعد تلك الزيارة.

كانت مغرمة جداً بحضرة عبدالبهاء، وكان له من العمر ثلاث أو أربع سنوات. فلقد اعتادت أن تحمله كثيراً. ذات يوم جاء سيد يحيى الدارابي المشهور بوحيد لزيارتها. وهو من أولئك المؤمنين الأوائل الذين استشهدوا في نيريز فيما بعد. وبقي ينتظر حضورها كثيراً، حتى قال لها الاحباء: "ألا تتركين الطفل وتذهبين للتحدث معه؟" فقالت في جوابها وهي تضع الصغير بجانبها وتخاطبه: "يا حامي الأمر الالهي، أتسمح لي بالذهاب لمقابلة أحد أتباع الأمر؟" فاستغرب أولئك الذين سمعوها، لأنه في ذلك الوقت حتى ان والد هذا الطفل لم يكن قد أعلن أمره بعد. ومن المحتمل انهما في أحاديثهما الروحانية الخاصة كان قد أخبرها بشيء عن مهمته القادمة.

وتكلم حضرة عبدالبهاء في كتابه "تذكرة الوفاء" عن زيارة السيد يحيى الدارابي المعروف بوحيد، فقال: كنت أجلس على ركبة جناب الطاهرة، وكان سيد يحيى يتلو بعضاً من أقوال الامام بخصوص الظهور الجديد. وفجأة قاطعته جناب الطاهرة وقالت: يا يحيى، فأت بعمل ان كنت ذا علم رشيد! ان اليوم ليس يوم تلاوة الاحاديث بل اليوم هو يوم الثبات وتمزيق حجب الخرافات، انه يوم إعلاء كلمة الله، انه يوم تضحية

أرواحنا في سبيل الله. حقاً علينا تأكيد أقوالنا بأعمالنا الحقيقية".

ان الحدث التالي والمهم جداً في تاريخ هذا الأمر هو مؤتمر بدشت. ومن المحتمل ان تسأل، اين تقع بدشت؟ انها تقع بين طهران ومازندران في مصيف منعزل تتخلله الحدائق والاشجار وتقع فيه بعض البيوت. وكان يستعمل كدار استراحة صيفية للنبلاء. انه أجمل مكان طبيعي اختاره حضرة بهاءالله للتشاور مع اتباع حضرة الباب، فلقد كان هادئاً وتنتشر حوله الحدائق الجميلة، وكان للحدائق الثلاث التي استأجروها فسحة واسعة في وسطها. وهناك كان بامكانهم التشاور بحرية، لقد كان من الخطورة بمكان عقد مثل هذا التجمع في طهران. ومن المحتمل ان المؤمنين توقفوا في هذه القرية وهم في طريقهم الى خراسان.

أرسل حضرة بهاءالله جناب الطاهرة الى بدشت مع الخدم والتجهيزات والمال اللازم لجماعتها. وبعد عدة أيام، ذهب بنفسه الى هناك، وكذلك ذهب حضرة القدوس. استأجر حضرة بهاءالله ثلاث حدائق، خصص الأولى لحضرة القدوس فقط، وجهّز الثانية لجناب الطاهرة ومرافقيها، واحتفظ بالثالثة لنفسه.

ونصبت خيام الاحباء في الساحة الوسطية. وكانت خيمة حضرة بهاءالله من خيام عائلات الوزراء، لأنه كان ابن وزير.

تعجب أحد الخدم في اليوم الاول عند مشاهدته إمرأة في هذا المكان تنصح وتخاطب العديد من الرجال – حتى من وراء حجاب – وكانت كلماتها تظهر أهمية قداسة هذا المؤتمر، فقالت له: "إن موضوعنا عن الله، عن الدين، عن الامور الروحانية، وفوق كل ذلك تقديم حياتنا في سبيل الحقيقة. إعلم ان أية خطوة نتخذها هي في سبيل الله. فهل أنت مستعد لإتباعنا؟" كان في كل يوم يقدم واحداً من اولئك الجمع خطبة عن أمر حضرة الباب.

وأقتبس من كتاب "مطالع الأنوار" الفقرة التالية:

كان عدد المجتمعين في بدشت 81 نفراً ومن وقت حضورهم الى يوم تفرقهم كانوا ضيوفاً على حضرة بهاءالله، وفي كل يوم كان يعطي ميرزا سليمان النوري لوحاً يقرأه بترتيل في مجمع الاحباء الحاضرين. وكان يسمي كل فرد منهم باسم جديد. وتسمّى هو أيضا بالبهاء وسمّى آخر حروف الحيّ بالقدوس وسمّى قرة العين بالطاهرة وصدر لوح من حضرة الباب لكل من اجتمع في بدشت وصدر بالاسم الذي تسمى به

أخيراً وكان بعض أتباع جناب الطاهرة من المحافظين على التقاليد القديمة قد اشتكوها فيما بعد الى حضرة الباب مدعين عليها بالخروج على التقاليد القديمة، فأجابهم حضرة الباب على ذلك بقوله (ما الذي أقوله عن من أسماها لسان العظمة بالطاهرة). وفي كل يوم من ايام ذلك الاجتماع المشهود كان يلغى تقليد من التقاليد المعروفة.

وقد وصف المؤرخ الفرنسي المسيو نيكولاس هذا الاجتماع وقال انه استمر لعدة ايام. وكانت النقاشات تدور بمجملها حول موضوع الانتقال من التعاليم القديمة الى تعاليم حضرة الباب الجديدة.

وحسب ما ذكره حضرة عبدالبهاء في "تذكرة الوفاء" (انه في وقت انعقاد هذا المؤتمر في بدشت، لم يكن حضرة الباب قد أعلن نفسه بعد عن المرحلة النهائية من ظهوره انه القائم، فقد أعلن في البداية انه الباب، الا ان القائم تعني انه الإمام الموعود. ولقد عمل حضرة بهاءالله وحضرة القدوس وجناب الطاهرة الترتيبات الضرورية للاعلان التام عن مقام حضرة الباب وعن إلغاء عدد من التشريعات والأصول الاساسية).

ذات يـوم كـان حضـرة بهـاءالله مريضـاً بـالحمى وبقـي فـي خيمتـه – فـي الحقيقـة كـان فـي ذلـك حكمـة – فخـرج حضـرة القدوس من خيمته وذهب لزيارة حضرة بهاءالله، فأرسلت جناب الطاهرة رسالة شفهية الى حضرة القدوس تطلب منه الحضور اليهـا، وعنـدما رفـض الاسـتجابة لطلبهـا، جـاءت بنفسـها الـى حديقة حضرة بهاءالله، سافرة الوجه وهي تقول لهم ان الظهور الجديد قد ظهر. وحالما شاهد الحاضـرون منظـر هذه المرأة اضـطربوا واسـتغربوا عنـد ادراكهـم أعـلان الأمـر المبـارك ومـن إلغاء بعض القوانين القديمة. وقد دبَّ بين الحاضرين اضطراب شـديد مـن هـذا التصـرف الـذي لـم يسـبق لـه مثيـل، لدرجـة ان حضرة بهاءالله أمر أحد المؤمنين بقراءة سورة الواقعة من القرآن بصـوت عـال، وتتعلق معـاني كلمـات هذه السـورة بيـوم القيامـة. وجـاء فيهـا ان شـيئاً اسـتثنائياً سـيقع فـي يـوم القيامـة. وعنـدما شاهد المؤمنون ما يجري، هرب جمع منهم ولم يقبلوا بالتغيير الجديد، بينمـا عـاد آخـرون الـى محضـر حضـرة بهـاءالله للسـؤال عن حقيقة الموضوع. ويقال انه عندما نقل موضـوع بدشـت الـى حضرة الباب، كتب يقول للمؤمنين بإتبـاع أوامر جناب الطاهرة، وخاطبهـا بقولـه مسـتعملاً لقـب "جنـاب الطـاهرة"، ولقـد اسـتعمل حضرة عبدالبهاء هذا الاسم بدلاً من قرة العين فـي كتابـه "تذكرة

الوفاء". ووصف الحاج ميرزا جاني في مذكراته قرة العين بـ "أم العالم".

كان مؤتمر بدشت قصير المدة، وذكر ان فترة مكوث حضرة بهاءالله هناك كانت واحداً وعشرين يوماً. ان مواضيع المؤتمر المثيرة لفتت انتباه سكان المناطق المجاورة وأثارتهم، فهجموا على المجتمعين ونهبوا ممتلكات البابيين الذين لم يقاوموهم او يقاتلوهم. وهكذا قوطع المؤتمر وإنفض بلا نظام، كما وصف ميرزا جاني بدشت في ذلك الوقت.

حتى وقت طباعة كتاب "مطالع الأنوار" في سنة 1932م، قد يتساءل المرء عن سبب عدم حضور باب الباب (الملا حسين بشروئي) الى المؤتمر، ففي الفصل السادس عشر يتضح السبب، فهو لم يعلم شيئاً عن المؤتمر، وغالبية الاحباء الذين اجتمعوا هناك كانوا في طريقهم اليه في مشهد. وحتى في مذكرات ميرزا جاني يجد المرء سبباً! فباب الباب كان راغباً في التوجه من مشهد الى مازندران قبل عدة أيام من انعقاد المؤتمر الفعلي، وزار في يوم مغادرته تلك المدينة، مقام الامام الرضا بصحبة سبعين من أتباعه.

وإتفق ان حصل شغب بين أتباعه وسلطات المدينة، لذلك ارسل البرنس حمزه ميرزا وراء باب الباب واحتجزه لعدة أيام في معسكره. وحالما أطلق سراحه، جمع أصحابه وبدأ المسير. وعندما وصل الى قرب بارفروش وصلته أخبار وفاة محمد شاه. فأثار هذا الخبر حالة من الاضطراب الشديد في المملكة، وهوجم باب الباب وأتباعه بسبب ايمانهم بتعاليم حضرة الباب، وحوصروا في مقام الشيخ طبرسي، فلم يستطيعوا سوى الدفاع عن أنفسهم فقط، وكان من المستحيل عليهم مغادرة المكان، فهم لم يذهبوا الى هناك لبناء قلعة او لمحاربة المسلمين او محاربة الحكومة لا سمح الله. لقد حوصروا من قبل قوات الجيش والأهالي.

كانت شرارة البداية قد انطلقت في أول الأمر من قبل أعداء الدين الجديد، وبسرعة ساندهم جنود الشاه. ولقد سبق وأن كتب حضرة القدوس قبل ذلك رسالة تنبأ فيها بظروف استشهاده هو وباب الباب، ويمكن للقاريء ان يفهم ما تبع ذلك في بقية المذكرات.

بعد انفضاض مؤتمر بدشت وتفرق المؤمنين وتشتتهم نتيجة المصادمات، وبينما كان بعضهم ما يزال في قرية نيالا، وصلتهم الاخبار وهم مازالوا في الطريق عن محاصرة باب

الباب في طبرسي. كان حضرة القدوس قد وصل الى مدينته بارفروش وقت وصول الاخبار، وحالما استطاع الخروج، أسرع الى باب الباب وبدأ بمساعدته في تنظيم القلعة لتكون جاهزة للحصار[6]. ولحسن الحظ، ان الحصار بدأ في الوقت الذي ذهب غالبية ضباط الجيش الى طهران لحضور حفلة تتويج جلالة الامبراطور ناصر الدين شاه في 20 أكتوبر 1848، وخلال هذا الوقت تمكن الرجال في طبرسي من تحويل هذا القصر الى ما يعرف اليوم بإسم "قلعة طبرسي".

حالما سمع المؤمنون في أنحاء البلاد عن هذه المصيبة الخطيرة التي وقعت على باب الباب وأتباعه، نهضوا من فورهم للتوجه اليها ومن أبعد مقاطعات ايران بل وحتى من العراق في محاولة للوصول الى هذه البقعة المهلكة. وكانوا يعلمون بالتأكيد انه بعد وقت قليل، سيسقط كل فرد من تلك العصبة المخلصة في قلعة طبرسي أمام مدافع الأعداء وجيوشهم الجرارة. فماذا كان يرى البابيون المسرعون الى القلعة في خيالهم؟ أو هل تذكرون نبوءة حضرة القدوس في رسالته عن الموت القادم؟ على كل حال لا أحد منكم او من القراء يشك بإخلاص ووفاء هؤلاء الأتباع، لأن ما لاقوه كان فوق تحمل البشر تماماً.

ويقال ان جناب الطاهرة عند سماعها بمصيبة باب الباب قررت الذهاب الى القلعة لمساعدتهم بتنكرها بلباس رجل. إلا ان حضرة بهاءالله طالبها بعدم فعل ذلك. وقال لها: قبل كل شيء ستفشلين في الوصول، وفوق ذلك ان الحرب والقتال لا تناسب أي فرد، وخاصة النساء. إضافة الى ان هناك ظهور جديد يأمر بالابتعاد عن الحروب.

من هذا يستطيع المرء ان يرى انه حتى قبل اعلان حضرة بهاءالله لدعوته كان قد وضع الاساس لمبدأ تجنب الحرب. وحالما أعلن حضرة بهاءالله أمره في بغداد 1863، منع الكلام عن الانتقام او القتل لحماية النفس. وهكذا كانت قوة كلماته الخلاقة. فمنذ ذلك اليوم ولحد الآن لم يقتل البهائيون أحداً انقاذاً لأنفسهم او بهدف الانتقام. لا يمكن للعالم ان يظهر تسجيلاً أكثر جمالا من الطاعة لهذا الأمر أكثر من القائمة الطويلة من الشهداء البهائيين. ان البطولة والمحبة والشهامة والفرح التي قدّم بها الاتباع حياتهم، هي واحدة من أعظم الاثباتات التي تدل على ان الظهور البهائي هو كلمة الله الى البشرية بهذا الدور العالمي.

ان البابيين في السنوات الست تلك، كانوا يعلمون فقط الطريقة القديمة في الدفاع عن النفس ولم يملكوا سوى فرصاً

قليلة للتعلم من حضرة الباب. ومع انهم اقتبسوا قليلا من المباديء الجليلة، فقد وهبوا أرواحهم بكامل المحبة، لا من أجل أنفسهم بل من أجل الأمر المبارك. ولم يكن لديهم الوقت الكافي للتعلم من حضرة الباب، فقد كان سجيناً وبعيداً عنهم جميعاً منذ أول اعلان دعوته، ما عدا تلك الأشهر القليلة التي عاشها في اصفهان. ومن يدري فمن المحتمل انها كانت كلها كذلك. ان نظام حضرة الباب كان لإجتثاث العادات القديمة. ان هؤلاء المؤمنين الأوائل بتعاليم حضرة الباب، بإستشهادهم الخالد، أجبروا العالم النائم الغارق في سباته على النهوض والانتباه لظهور المظهر الإلهي القادم والمعلم الالهي الجديد للعالم أجمع.

وقال عبد البهاء في نفس الكتاب (تذكرة الوفاء) ان جناب الطاهرة أُعْتُرِضَتْ وهي في طريقها من بدشت الى طهران وأعتقلت وأرسلت الى العاصمة تحت حراسة مجموعة من الغوغاء ثم سجنت فيما بعد في بيت محمود خان كلانتر (رئيس الشرطة).

وكتب الحاج ميرزا جاني، ان حضرة بهاءالله وميرزا جاني نفسه وعدد آخر من المؤمنين حاولوا الوصول الى قلعة طبرسي لتقديم المساعدة. وكان معهم أربعة الآف تومان

(أربعة آلاف دولار تقريبا) وأغراض ومنقولات أخرى. وكما جاء في "مطالع الأنوار"، في بداية ديسمبر 1848م (محرم 1265هـ)، أوفى حضرة بهاءالله بوعده الذي أعطاه الى باب الباب وتحرك من نور مع عدد من أصدقائه متوجها الى قلعة طبرسي. وكانت رغبته في الوصول الى هدفه أثناء الليل، ولم يرغب في التوقف أثناء الرحلة، إلا ان أصحابه طالبوه ببضع ساعات من الراحة، ورغم انه كان يعلم ما يسببه هذا التأخير من مخاطر كبيرة وان العدو سوف يفاجئهم، فقد وافق على طلبهم، مما أدى الى إلقاء القبض عليهم جميعاً. وجاء في رواية اخرى انهم عندما كانوا يبعدون مسافة ستة أميال عن قلعة طبرسي، ألقي القبض عليهم من قبل الضباط الملكيين. فضربوا وأخذوا الى المعسكر لقتلهم. ولكن، بما ان حضرة بهاءالله كان ينحدر من أسرة معروفة من مازندران، فقد قدّم له بعض الضباط الملكيين حمايتهم، وأرسلوه الى بارفروش (آمل) حيث عانى من البلاء والأذى ما يعجز الوصف عنه. فإشترى تاجران من كاشان موطن ميرزا جاني حرية المساجين بالمال.

لقد حاول الأصحاب في طهران ثني عزيمة ميرزا جاني عن الذهاب الى طبرسي، إلا انه أجابهم: "سوف أستشهد في قلعة طهران، ورغم انه سيلقى القبض عليّ في هذه الرحلة إلا

انه سيطلق سراحي. علاوة على ذلك، ليس هناك سبب أخجل منه يمنعني من الذهاب، وسأذهب بكامل ارادتي!"[7].

وقال حضرة عبدالبهاء في "تذكرة الوفاء"، ان رغبة حضرة بهاءالله كانت في الذهاب الى نيالا ثم الى قلعة طبرسي، إلا ان حاكم آمُل عندما سمع بذلك، جاء الى نيالا بصحبة سبعمائة مسلح، وحاصر حضرة بهاءالله واعتقله ثم أرسله مخفورا مع أحد عشر فارساً من الشرطة الى آمُل. وهناك تعرض حضرته للتعذيب ثم ارسل الى العاصمة طهران.

وأرى انه لا يمكنني ان أغلق ملف بدشت بدون أن أخبركم عن مؤمن آخر كان حاضراً في مؤتمر بدشت (أول مؤتمر بهائي) وهو الحاج الملا اسماعيل من قم، وهو رجل دين من كربلاء استشهد في النهاية في طهران سنة 1852. فعندما طلب منه الجلادون هو وزملائه السجناء البابيين إنكار دينهم او مواجهة القتل، قال لجماعته: "من ناحيتي، فأنا عازم على الاعتراف بإيماني وتقديم حياتي له، لأننا اذا فشلنا في الاعلان عن ظهور القائم، فمن ذا الذي سيفعل ذلك؟ واذا فشلنا بتوجيه الناس الى الطريق الصحيح، وتمزيق حجبات الغفلة، وإيقاظهم من سباتهم وغفلتهم، وتوضيح تفاهة هذا العالم الفاني لهم وتقديم شهادة فعلية عن حقيقة هذا الدين المقدس السامي، فمن

سيفعل ذلك؟ فليتقدم اذن من يتمكن من انجاز هذه المهمة بكل شجاعة ويصحبني!" فتقدم سبعة من رفاقه المؤمنين المخلصين حسب ما جاء في كتاب "التاريخ الجديد"، وفدوا أنفسهم واستشهدوا في طهران. وكان أحدهم هو الحاج ميرزا سيد علي، خال حضرة الباب الخالد الذي تعهد بتربيته منذ طفولته والذي كان دائما من أخلص أتباعه. ان شهداء طهران السبعة دخلوا التاريخ ومن المحتمل ان الهامات هذا الاخلاص الفذ قد جاءت من ذلك الاجتماع في بدشت! لهذا فإن المؤمنين الذين اجتمعوا في بدشت قد أعلنوا عن القائم بأرواحهم!

كان حضرة القدوس (الملا محمد علي) يشجع أتباعه في يوم رأس السنة 1849، في طبرسي ويرتل لهم بعد القصف "نحن لا نمنح الألم لأحد حتى نعتبره من عداد القديسين. ان هذا الألم هو جوهرة من خزائننا، فنحن لا نمنح جواهرنا للجميع!"

في النهاية، أدركت الجيوش المحاصرة لقلعة طبرسي، انها لا تستطيع احتلالها بالقوة، وفهموا انهم غير قادرين على تمزيق "الرايات السود" شعار المؤمنين المخلصين، ولا يمكنهم كذلك الصمود أمام هجمات أولئك الأرواح البواسل الذين كانوا يتقدمون من بوابة القلعة وهم يمتطون جيادهم ويصيحون

بصيحة "يا صاحب الزمان". فتصرف الأعداء بشكل سافل جداً، إذ وعد قائدهم بمنحهم الحرية وتأمين سفر محترم لهم الى مناطقهم، إذا هم استسلموا، فكتب على ظهر غلاف كتاب القرآن المقدس تصريحه ووعده الموثق ما يلي: "أقسم بهذا الكتاب المقدس، وبالله الواحد الأحد الذي أنزله، وبمن أنزلت عليه هذه السور، انني لا أضمر أية نيّة، سوى تأسيس السلام والمحبة. أخرجوا من قلعتكم وتأكدوا انه لن ترفع عليكم يد مرة أخرى..."

استلم حضرة القدوس كتاب القرآن من يد الرسول وقبّله باحترام وصلى وطلب من رجاله الاستعداد لترك القلعة، وقال: "باستجابتنا الى دعواهم، سنمنحهم فرصة اظهار حقيقة نواياهم".

ويقدم "مطالع الأنوار" وصفاً رائعاً لذلك الخروج، فيقول: "وضع حضرة القدوس على رأسه العمامة الخضراء التي أرسلها له حضرة الباب والتي أرسل مثلها الى باب الباب، وكان الأخير يرتدي خاصته يوم استشهاده ايضا. خرج من مقام الشيخ طبرسي مائتان وأثنان من المؤمنين، ولم يبتعد عن حضرة القدوس من هذا الجمع الا عدد قليل بسبب اشاعات كاذبة وصلتهم من أعدائهم، حيث ألقي عليهم القبض فيما بعد

وبيعوا كعبيد. ومن خلال قصص وكلمات هؤلاء القلّة من الرجال المباعين، علمنا ما دار وجرى في ذلك الحصار التاريخي لقلعة طبرسي. أما البقية الباقية فعذبوا وقتلوا جميعاً.

وعانى حضرة القدوس – في مدينته بارفروش حيث أخذوه – عذاباً لا يمكن لقلم أن يصفه، فقد جرد من ملابسه ورميت عمامته المهداة له من حضرة الباب في الطين، وسيق في الشوارع حاسر الرأس حافي القدمين مكبلا بالسلاسل تتبعه سخرية واستهزاء الجمهور الذين كانوا قد شاهدوا وعرفوا حقيقة طهارة وقدسية حياته منذ طفولته. ولعن وشتم وبصق عليه من قبل حثالة المجتمع، وثقّب وشرِّح وقطِّع جسده من قبل الغوغاء النابحة الشرسة. وفي وسط كل هذه الضوضاء والفوضى، سمع صوته وهو يقول: "أغفر يا الهي لهؤلاء جريمتهم، عاملهم يا إلهي برحمتك، لأنهم لا يعلمون ما أدركنا وما فزنا به. لقد حاولت إظهار طريق الخلاص لهم. فانظرهم كيف قاموا على قتلي. إظهر لهم يا إلهي طريق الحق وبدّل طريق ضلالهم بطريق الهداية!"

وعندما وصل الموكب الى الساحة العامة، مكان الاعدام، قال حضرة القدوس الشاب ذو السبعة وعشرين عاما: "يا ليت أمي كانت معي لتشهد بأم عينها بهاء عرسي!". وحالما أتم

هذه الكلمات، أجهز عليه الغوغاء وقطعوه إرباً إرباً ورموا بقايا جسده في نار أعدت لهذا الغرض. وفي رواية أخرى، ان سعيد العلماء جاء وقطع أذني حضرة القدوس بنفسه وضربه بفأس على رأسه.

كان باب الباب ذو السادسة والثلاثين من العمر قد واجه استشهاده التاريخي الرائع قبل ذلك بقليل.

أرجو ان لا يعتقد أحد إنني أذكر هذه الجرائم المخيفة لأنتقد المسلمين المتعصبين الذين ارتكبوا هذه الأفعال بإسم الله. لا! انني أدرك انهم ينتسبون الى العهد القديم، وفي المقابل انني لا أنسى تلك الوحشية البشعة التي ارتكبت في عالمنا الغربي باسم الدين. انني أذكر هذه الوقائع التاريخية لأنها تبرهن كيف تصل كلمة الله بهذه الاعمال العظيمة الى البشر من عصر الى عصر. أفلا نتعلم من دورات الديانات السابقة كيف نتأكد من الحقيقة قبل ان نقتل رسل الله وأصحابهم الأوائل!

إذن دعونا نترك قلعة طبرسي، وقبل ان نفعل ذلك، لنلق آخر نظرة على ذلك الجمع الهائج. كان الغوغاء المحتشدين ينهبون الضحايا، وعثروا في جيب أحد هؤلاء الشهداء الشبان الشجعان... ماذا؟ قطعة لحم حصان صغيرة تحجرت بشدة

بحيث لم يتمكن الشهيد من تناولها! حقاً ان القلوب لتتحرك من شجاعة ومعاناة أتباع حضرة الباب الأوائل هؤلاء!

الفصل الثالث

استشهاد جناب الطاهرة والكارثة

كيف يمكنني أن أقدم لكم كل ما عرفته عن مراسلات جناب الطاهرة مع جلالة الملك ناصر الدين شاه. فعندما جيء بها الى بلاطه بعد احضارها من بدشت، قال حال رؤيتها: "لقد أعجبني شكلها، اتركوها، ودعوها كما هي". ويقال أيضا ان جلالة الامبراطور أرسل لها رسالة الى بيت رئيس الشرطة ملخصها انه طلب منها انكار حضرة الباب والعودة الى الاسلام، فاذا فعلت ذلك، فسوف يمنحها قصراً رائعاً وستكون مسؤولة عن نساء قصره، وتكون زوجة له. فأجابته ببيتين من الشعر كتبتهما على ظهر رسالته وأعادتها اليه. وما يلي ترجمة لمضمون تلك الأبيات، لا تعطي معناها الحقيقي ولا تفي بروعة جمالها الأصلي:-

لك الملك والغنى والحكم
ولي العجب والفقر والذلة والبؤس
ان كان ذلك المقام جيداً، فخذه
وان كان هذا المقام سيئاً، فإني أتشوق له، فدعه لي

وعندما قرأ الشاه ردها، مدح روحها الرائعة وشجاعتها، وقال: "لم ينجب لنا التاريخ مثل هذه المرأة منذ زمن بعيد".

لقد أخبرني أقرباء جناب الطاهرة في قزوين انها دعيت قبل يوم واحد من استشهادها الى بلاط جلالة الملك ناصر الدين شاه، فقال لها في ذلك اليوم: "لماذا آمنت بالباب؟ فلم تجبه من عندها، بل نطقت بسورة "الكافرون": (لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين). لذلك سأعبد من أشاء وأعبد أنت من تشاء.

عندها أطرق جلالته برأسه الى الارض بصمت لبعض الوقت، ثم نهض وترك الغرفة دون ان يقول شيئاً. وعلى كل حال، سمعت ان حاشية الملك وخدّامه قرروا قتلها، فقتلوها في اليوم التالي بدون علم الشاه. ويقال أنه حزن عندما علم بنبأ مقتلها.

خلال سجنها في بيت رئيس الشرطة، حبست في البداية في غرفة خارجية صغيرة بدون سلالم، فكان يوضع لها سلم خشبي كلما أرادت الصعود. فجاءت احدى الأميرات وكانت شاعرة ايضا الى هذا البيت الصغير تأمل رؤية جناب الطاهرة. فقابلتها وبعد ذلك ذكرت هذه الأميرة في أحد كتبها كيف ان

جناب الطاهرة كانت سعيدة جدا. لقد قيل عن فرحها وسرورها في كل مكان وفي كل التواريخ وعن كل من تكلم عنها. لقد كانت طلقة متحمسة فرحة دائماً وحتى في أعظم مراحل الخطر على حياتها كانت مصدر شجاعة للآخرين. انها لم تكن شهيدة فقط، لكنها كانت إمرأة شابة باسمة مرحة. أقول شابة لأن عمرها كان حوالي إثنين وثلاثين عاما أو على الأكثر ستة وثلاثون عندما أعدمت في أغسطس 1852م.

هنالك روايات كثيرة عن موتها، أما الاختلاف فهو في كيفية اجراء الفعل، الا ان الجميع اتفقوا على انها كانت تعلم من خلال قدرتها على التنبؤ انها ستقتل، كما انها قابلت قاتلها بشجاعة لا تدانى.

أولا، أقتطف ما قاله حضرة عبدالبهاء عنها وعن موتها. فقد كتب ذات مرة: "من بين نساء زماننا "الطاهرة"، أبنة المجتهد الاسلامي. أظهرت في وقت ظهور حضرة الباب قوة وشجاعة فائقة تعجّب منها كل من سمع عنها. لقد خلعت عنها الحجاب رغم العرف القديم عند الايرانيين، ورغم ان مجرد الكلام مع الرجال كان يعتبر عملا شائناً، فقد ناقشت هذه المرأة البطلة كبار العلماء، وكانت في كل مجلس تتغلب عليهم. وقالت

عندما كانت في السجن: يمكنكم قتلي وقتما تشاؤون، إلا أنكم لا تستطيعون وقف تحرير المرأة".

وكذلك قال في كتاب "تذكرة الوفاء" عن جناب الطاهرة، انها سجنت في بيت رئيس الشرطة[8]. وذات مرة، كان هناك احتفال كبير في هذا المنزل، كانت مناسبة خطوبة ابن رئيس الشرطة، وحضرها العديد من السيدات من الطبقة الارستقراطية من أميرات وزوجات وزراء وزوجات شخصيات اخرى، كان مجلساً رائعاً ومميزا، وبدأت الموسيقى والرقص واندمج الجميع بذلك، فدخلت جناب الطاهرة وبدأت بالحديث على الفور عن تعاليم حضرة الباب، فشمل الجميع العجب والاستحسان لقولها بحيث تركوا الرقص والغناء وإلتفوا حولها لاستماع حديثها الشيق. ونسوا حفل الخطوبة تماما.

وهكذا عاشت في بيت رئيس الشرطة حتى حصلت حادثة ارتكاب أحد الحمقى البابيين المجهولين (يقول بعض المؤرخين انه كان معه اثنان او ثلاثة من رفاقه) وكان قد تأثر هذا الرجل لاستشهاد محبوبه حضرة الباب، فحاول الاقدام على جريمة قتل الشاه في 15 أغسطس 1852. فلم يصب الشاه الا ببعض الخدوش، وتمكن في اليوم التالي من عقد جلسته العادية. الا ان عمل هذا البابي الفظيع قد سوّدَ صفحة تاريخ

البابية في كل أنحاء العالم. وفي المقابل، لم يحصل في تاريخ الشعوب ان ارتكب مثل هذا الانتقام والعقاب ضد الأبرياء كما فعل ناصر الدين شاه وحكومته تجاه كل مؤمن بحضرة الباب. ومع انهم لم يعرفوا شيئا عن هذه المؤامرة، فقد بحث عنهم في كل مكان، وفي 15 سبتمبر 1852م قتل حوالي ثمانين شخصاً في أفظع وأبشع وسائل يمكن استنباطها. فالشاه ورئيس الوزراء ورئيس الفراشين وكل الحكومة كانوا مذعورين وخائفين وأصبحوا متطرفين جدا في حقدهم، لذلك قرروا ان على كل شرائح المجتمع ان تشارك في هذه المذبحة وعلى كل واحد ان يكون مسؤولا عن اعدام واحد او اكثر من هؤلاء المؤمنين. فكانت بشاعة جرائم كل طبقة من طبقات المجتمع تدل على درجة اخلاصها للشاه!

ان هذه الرواية ستوضح ما حصل للطاهرة وتخبركم عما جرى لحضرة بهاءالله، أما الآخرين فيمكنكم القراءة عنهم في كتب "مطالع الأنوار" و "مذكرات سائح" و "التاريخ الجديد".

في اليوم التالي لحادثة الاعتداء على حياة الشاه، ذهب حضرة بهاءالله بنفسه الى نياوران حيث مقر الموكب الملكي ومركز المعسكر الامبراطوري، فاعتقل وقيد بالسلاسل وأخذ الى طهران. ولقد شاهدتُ ذلك السجن تحت الارض حيث

وضعوه (يستخدم هذا الجب الموبوء اليوم، مصنعاً للتبغ) وشاهدت المحكمة التي أخذ اليها حيث وضعوا أقدامه بين عوارض خشبية وضربوه خمس عشرة جلدة. انه لم يفعل شيئاً ولم يفعل أحد من هؤلاء شيئاً كذلك. لقد كانوا أبرياء، ولقد صدموا من وقع الجريمة كما صدمت الحكومة نفسها. لم يكن هنالك مجال للنجاة من الموت أمام حضرة بهاءالله، لولا أن الشاه أمر بالتحقيق في قضيته بشكل منفرد من قبل وزراء القصر. بعد ذلك، تحققت براءته تماما، لذلك لم يحكم عليه بالقتل، إلا ان حقوقه المدنية صودرت ولم يطلق سراحه، وبعد أربعة أشهر نفي الى بغداد.

ومن المحتمل ان ذلك كان بسبب منزلته العالية في طهران، فنجى من الموت بإعجوبة، الا اننا نحن البهائيون نعلم انه بقي على قيد الحياة، لأنها كانت ارادة الله لانشاء هذا الدين العالمي الجديد.

ولقد تقدمت بعض الممثليات الاوروبية، الى البلاط الايراني، في محاولة لاقناع الشاه بعدم تعذيب المتهمين قبل عمليات الاعدام كما كان يجري، الا ان هذه المحاولات باءت بالفشل.

كانت جناب الطاهرة تعيش سجينة في بيت رئيس الشرطة، ومن المؤكد انه لم يكن لها ضلع بالمحاولة الفاشلة على حياة الشاه، ومع ذلك وبسبب كونها مؤمنة بتعاليم حضرة الباب أدينت بالمحاولة. وكما ذكر في "تذكرة الوفاء"، فإن موظفي الدولة جاؤوا الى منزل رئيس الشرطة وأخذوها تحت ذريعة اصطحابها الى بيت رئيس الوزراء. الا انها كانت قد استعدت لذلك واستحمت في ذلك الصباح واستعملت عطر ماء الورد وإرتدت أفضل فستان حرير أبيض لديها، وودعت كل من في البيت وأخبرتهم انها ستذهب في المساء في رحلة طويلة. لقد تنبأت روحها الطاهرة بمصيرها. وكانت مستعدة عندما جاؤا بطلبها تلك الليلة وذهبت معهم. فأخذوها الى حديقة. في البداية تردد الجلاد لفترة قليلة في تنفيذ الأوامر الصادرة بقتلها لدرجة انه رفض التنفيذ. بعد ذلك عثروا على عبد زنجي أسود مخمور، فوضع هذا منديلا في فمها وخنقها. بعد ذلك رموا بجثتها في بئر في الحديقة وأهالوا عليها الحجارة والنفايات.

يقول حضرة عبدالبهاء: انه ولآخر لحظة من حياة جناب الطاهرة كانت سعيدة وجذلة وكانت تنتظر بلهفة بركات العالم الابهى. وعلى هذه الحال، ضحّت بحياتها الغالية. عسى ان تفرح روحها وتسعد في العالم الأبهى.

هنالك اختلاف في وجهات النظر حول طريقة استشهادها. فقد كتب الدكتور جاكوب بولاك وهو نمساوي وطبيب سابق لدى الشاه الايراني واستاذ في كلية الطب في طهران، كتاباً في سنة 1865م، قال فيه انه شاهد طريقة اعدام جناب الطاهرة وانها تحملت موتها البطيء "بثبات خارق".

وقال الكونت جوبينو الفرنسي في كتابه (فلسفة الأديان في آسيا الوسطى) المطبوع في سنة 1865م، ان جناب الطاهرة قد أحرقت، بعد أن خنقها الجلادون.

وقال مؤرخ آخر، انها قد خنقت بوتر قوس. لقد حاولوا إجبارها على خلع قناعها، الا انها رفضت فلفوا وتر القوس حول عنقها من فوق القناع وهكذا خنقوها، ثم رموها في بئر جافة – وهي ما زالت على قيد الحياة – وردموها بالحجارة والنفايات.

وبينما كنت في طهران سنة 1930م، قدمت لي الدكتورة سوزان مودي تقريرا حول استشهاد جناب الطاهرة أخبرها بها الرجل المسن جناب أديب المبلغ البهائي المشهور، وكان قد تشرف بزيارة حضرة بهاءالله في عكاء. كان جناب أديب استاذاً

في الجامعة وأنشأ أخيرا "مدرسة التربية للبنين" في طهران. وكان والده مدرساً في عائلة فتح علي شاه.

وما يلي كتب بتوقيع جناب أديب، وكان صديقا حميماً لقلي الذي جاء مع جناب الطاهرة الى طهران. وهنا أقتبس فقط الجزء الخاص باستشهاد جناب الطاهرة:

(في كل مجلس عقد في طهران، كان الرجال والنساء يتكلمون بمحضر جناب الطاهرة بمنتهى الأدب. وجاء اليها العديد من الأعيان والسيدات المعجبات لتغمرهم بالسرور والغبطة بسبب كلماتها المتشبعة بالأمل. وكان الجميع من كل الطبقات وحتى الأمراء ووزراء الدولة ينجذبون لفصاحتها وينحنون بخضوع أمامها عند الدخول في محضرها. ولقد انتشرت خطبها وتوضيحاتها في مختلف انحاء ايران ولم يكن لأحدٍ أقل شك حول ثقافتها وعلمها.

عندما كنت شابا، اعتدت دراسة الفلسفة مع ميرزا عبد الوهاب شقيق جناب الطاهرة. وعندما كنت أخطأ أو يحصل لي إشكال أسرع في طلب مساعدته. ذات يوم من ايام الصيف، ذهبت اليه في غرفته الخاصة وكان جالساً لوحده، وبما ان اليوم كان حاراً، فقد كان يرتدي جلباباً أبيضاً

فضفاضاً. بعد جلوسي بقليل وعندما حصلت فرصة مناسبة، قلت له أريد ان أسألك بعض الاسئلة، إلا انني كنت متردداً دائماً، والان اذا سمحت لي فسأفعل. فأعطاني الإذن. لذلك قلت: ان شهرة وعلم وكمال جناب الطاهرة منتشر بين الناس بحيث أذهل العقول. ولا أحد يعرف الموضوع أفضل منك، لذلك أريد ان أعرف منك حقيقة او كذب هذا الموضوع؟

فتنهد عبد الوهاب (شقيق جناب الطاهرة) وأجاب: مع الأسف انك سمعت عن كلام وفصاحة جناب الطاهرة فقط، وإنك لم ترها ؛ أعلم وتيقن حقاً، انه في أي مجلس كانت تحضره، لا أنا ولا أي شخص آخر يستطيع ان ينبس ببنت شفة، كان يبدو لو ان كل كتب القبل وكتب المستقبل مفتوحة أمامها، لقد اعتادت ان توضح الموضوع بتقديم البراهين الواضحة من كتب العلماء صفحة بعد صفحة بحيث لا يملك احد القدرة على الانكار.

كان القتيل الملا تقي يردد دائماً: "عندما تظهر علامات القائم الموعود، سيظهر زنديق قزوين ايضاً، وكلمات هذا الزنديق ستكون كلمات امرأة دين؟"

والآن ظهرت هذه المرأة ودينها. في الحقيقة ان كلامها وتوضيحاتها شاهد حقيقي لها.

منذ ذلك الحين، أفتى رجال الدين بمنع جميع النساء من الدراسة، مخافة ان يصبحن مؤمنات مثل جناب الطاهرة.

في سنة 1852م، أطلق بعض البابيين المتعصبين النار على ناصر الدين شاه، لذلك أصبح جميع المؤمنين بتعاليم حضرة الباب في خطر عظيم. فأخبر محمود خان رئيس الشرطة كلاً من الشاه ورئيس الوزراء، ان جناب الطاهرة ما تزال تسكن في بيته، فخشيا ان يصدرا عليها حكم الموت بدون محاكمة، مدركين انها كانت صديقة حميمة ومحبوبة جدا من غالبية سيدات المجتمع ومن الطبقة الارستقراطية، ومن المحتمل ان يؤدي قتلها الى قيامهن باحتجاج لايستطيع أحد إخماده.

دعيني أذكر لكِ أحد الحوادث لأوضح لكِ تأثير شخصيتها: أخبرتني سيدتان لهما علاقة بعائلة رئيس الشرطة، انه خلال حبسها في بيته، جهز رئيس الشرطة حفلة خطوبة لولده، استغرقت هذه الاحتفالات عدة ايام وقدمت الدعوات الى الناس من مختلف الطبقات المعروفة في المجتمع، وخلال هذه

الاحتفالات والتجهيزات لم تتوقف جناب الطاهرة عن تبليغ رسالتها بفصاحة بليغة بحيث ان الناس تركوا أيام المتعة وكانوا متعجبين ومستغربين جداً من بياناتها وفصاحتها بحيث نسيت جميع مظاهر اللهو التي قدمت لمتعتهم وتركت، وباتوا وكأنهم سحروا بكلامها وتصرفاتها وكانوا يريدون ان يعرفوا منها لماذا أصبحت كافرة رغم انهم لا يشاهدون هذا فيها.

ورغبة من رئيس الحكومة في اتمام عملية قتلها، أمر إثنين من أكبر وأشهر علماء الدين في طهران، وهما الحاج الملا كنى والحاج الملا محمد أندرماني في التباحث معها، وأعلن: انه مهما قرر رجلا الدين بخصوصها فإنه سينفذه[9].

وهكذا تمت المباحثات في بيت رئيس الشرطة محمود خان، وكانت في كل جلسة تتناقش معهما، تتغلب عليهما، ولكنهما بقيا غير مقتنعين برأيها. وفي النهاية كتبا حكمهما التالي:-

"إن هذه المرأة كافرة ورئيسة الكفرة، لذلك فموتها ضروري ولازم".

فوافقت الحكومة على ذلك، وأضافت لحكم رجلي الدين بعض التهم الكاذبة الأخرى، ونشرتها بين النساء والرجال. وهكذا استطاعت الحكومة تغيير أفكار الناس، فانقلبوا عليها

ورغبوا بموتها. وعلى كل حال، وعلى الرغم من هذا الاعلان، فقد قتلوها بسرية أثناء الليل وهم خائفون وجلون.

وبالنسبة لهذا العبد (أديب)، فقد كنت أحاول كشف حقيقة الأمر البهائي نائماً ويقظاً، فلم تكن صورته واضحة لي آنذاك. لقد رغبت البحث بنفسي، لذلك ذهبت الى أحد أقربائي وكان صديقاً حميما لي وأثق به، كان رجل دين وأكبر مني سناً ويميل الى طائفة المتصوفة.

فسألته: ماذا تعرف عن هذا الحدث؟

فأجاب: ليس عندي معلومات دقيقة، الا انه من السهل الحصول عليها من الأبن الأكبر لرئيس الشرطة، وهو من المتصوفة وصديق حميم لي وسأدعوه ذات يوم الى بيتي ليكون ضيفي، وسأدعوك كذلك وعندها يمكننا سؤاله.

وعندما التقينا في اليوم المحدد، قلت له: انني سمعت أوجه مختلفة عن حقيقة مصير جناب الطاهرة، لكنها طالما كانت سجينة في بيتكم، فإنكم ولا شك تعلمون كل الظروف أفضل من أي شخص آخر؟

فأجاب : في ليلة ذلك اليوم الذي قتلت فيه جناب الطاهرة سراً، كانت عارفة بمصيرها وكأن هناك من أخبرها بذلك، فإستحمت وغيرت جميع ملابسها ونزلت الى الطابق الارضي وطلبت السماح والعفو من كل أهل البيت فرداً فرداً لما سببته لهم من ازعاج. كانت مثل مسافرة تتمتع بكامل الفرح والسرور قبل بدء رحلتها. وعند الغروب كانت تتمشى بخطوات بطيئة ذهابا وإياباً على غير عادتها في الشرفة العلوية، والتزمت الصمت ولم تكلم أحداً، الا انها كانت تكلم نفسها بصوت منخفض. واستمرت على هذه الحال الى ما بعد الغروب بثلاث ساعات. في تلك الليلة صدر قرار حكومي شديد بمنع التجول ومن يفعل بغير ذلك يتعرض للعقاب.

آنذاك جاء إليّ والدي وقال : لقد عملت كافة الترتيبات اللازمة وأمرت كل حراس الليل ليكونوا بكامل اليقظة والحذر ويراقبوا الشوارع وتقاطع الطرقات، خشية ان تحدث اضطرابات. والآن أريدك أن تأخذ هذه السيدة بكامل السرية الى حديقة ايلخاني ومعك الخدم، وتسلمها الى السردار كل عزيز خان وتنتظر هناك حتى ينتهي الموضوع، ثم عد وقدّم لي التقرير، حتى أذهب وأخبر الشاه.

بعد ذلك نهض وقال: تعال معي، فذهبنا الى الطابق العلوي معاً. وعندما وصلنا الى باب الغرفة العلوية، رأيناها جاهزة وكأنها تنتظرنا. فقال لها والدي: لنبدأ فوراً، عليك بالذهاب الى مكان آخر. فتقدمت بدون تردد. وعندما وصلنا الى الباب الخارجي، وجدنا حصان أبي الخاص حاضراً، فامتطته، فوضع والدي عباءته فوقها حتى لا يعرف الناس ان هذا الفارس هو إمرأة. ثم تحركنا مع عدد كبير من الحرس الأشداء، وسلكنا طرقاً ملتوية حتى وصلنا الى الحديقة حيث ترجلت من حصانها وأدخلت في غرفة الخدم في الطابق الارضي[10].

ذهبت الى الطابق العلوي، ودخلت على السردار وكان جالساً لوحده ينتظرنا. فأبلغته تحية والدي وقدمت له رسالته.

فسألني: هل عرفكم أحد خلال الطريق؟

أجبته: لا أحد.

فنادى على أحد خدمه، وحيّاه بطريقة لطيفة واستفسر عن صحته، ثم قال له: هل حصلت على هدية لأحد أفراد اسرتك في هذه الرحلة؟

قال الخادم: لا.

فقدم لـه السردار حفنة من فئة التومان الواحد ذهباً، وقال لـه: خـذ هـذه الآن وارسـلها لهـم وسـوف أكافئـك لاحقـاً، ثـم أضـاف: خذ هذا المنديل الحرير واذهب ولفه حول رقبة هذه السيدة البابية وأخنقها، لأنها هي سبب ضلالة الناس. فغادر الخـادم الغرفـة وأنـا أرافقـه. فـذهب لغايتـه علـى الفور، أمـا أنـا فوقفت عند الباب. وعندما تقرب من جناب الطاهرة، نظرت اليه وتفوهت ببعض الكلمات تخاطبه. فجأة، رأيته يعود أدراجه ورأسـه منحنـي وهو يكلم نفسه باللغة التركية، ومرّ بـي وخرج عبر الباب بلا عودة. فعدت الى السردار وأخبرته بما حدث.

طلب السردار فنجان قهوة، وبعد أن أطرق قليلاً، نادى على خادمه وقال لـه: لقد فصلت ذات مرة من العمل خادماً أسوداً إعتاد أداء مثل هذه الاعمال القذرة. فأين هو؟

أجاب الخادم: انه يعمل الآن في المطبخ.

فقال السردار: قل له ان يحضر الى هنا.

بعد قليل دخل رجل قذر الهيئة تعلوه ملامح شيطانية. فقال لـه سـيده: ألا تـرى أمـورك انزلقـت الـى أي حـال؟ إذا تبـت وانقطعـت عـن أعمالـك السـيئة، فسـوف أعيـدك الـى سـابق وظيفتك، ومن الممكن ان تقضي بقية حياتك في سعادة.

فأجاب الرجل على الفور: سوف لن أعصيك أبداً.

قال له سيده: حسناً. أنا متأكد من أنك لم تشرب شيئاً. أذهب الى الغرفة الاخرى وأشرب كأسا طافحة من الخمر ثم عد لي وسأعطيك عدتك وملابسك.

فذهب وعاد بعد قليل. فقال له السردار: إنك رجل شجاع، هل بإمكانك قتل إمرأة موجودة في الطابق السفلي؟

فأجاب الخادم: نعم.

خرج الخادم من غرفة سيده وخرجت معه. وحالما تقرّب منها، لف بسرعة القماش حول عنقها بشدة وعنف، فأغميّ عليها وسقطت فضربها على جنبها وصدرها، ثم جاء أحد الحرس وحملاها معاً كما هي في ملابسها ورموها في بئر موجودة في الطرف البعيد للحديقة، ثم ردما البئر بالحجارة والنفايات. فعدت الى البيت وأعطيت والدي تقريرا كاملاً عن الأحداث[11]).

وفي صفحة 621 من كتاب "مطالع الأنوار"[12] يتكلم الكاتب (نبيل زرندي) عن ابن رئيس الشرطة ومرافقته للطاهرة الى الحديقة حيث أستشهدت. أقتبس منه بعض الفقرات:-

... فقد كان مكثها (الطاهرة) في طهران محفوفا بعلائم المحبة والاعتبار الزائد من رؤساء النسوة في العاصمة. فوصلت في تلك الايام الى ذروة العلا والحظوة[13].

وكان المنزل الذي حبست فيه يموج بالنسوة المعجبات بها اللائي كن يتوافدن بكثرة على أبوابها ويشتقن ان يحضرن في مجلسها وينتفعن بعلمها[14] ومن بين هؤلاء النسوة زوجة الكلانتر[15] التي امتازت بما أظهرته من الاحترام الزائد لجناب الطاهرة ولأنها كانت مضيفتها كانت تعرض عليها خيرة النسوة في طهران وكانت تخدمها بكل حماس وتشاركها في عملها بتوثيق عرى ألفتها مع باقي النسوة.

وقد سمع بعض أصدقاء زوجة الكلانتر منها ما يأتي: (ذات ليلة بينما كانت الطاهرة في منزلي طلبتني للحضور أمامها فوجدتها مزينة للغاية ومرتدية بدلة من الحرير الأبيض. وكانت الغرفة معطّرة بأحسن الأطياب. فأظهرت دهشتي من مثل هذا المنظر الغير عادي. فقالت "اني استعد للقاء المحبوب وأريد ان أخلصك من المتاعب التي تلاقينها في سبيل سجني" فذهلت في ابتداء الأمر، ثم بكيت من فكرة الافتراق منها، فقالت لي لتطمئنني "لا تبك لأن ساعة الحزن لم تأت بعد واريد ان أبث اليك آخر رغباتي. لأن الساعة التي

سيقبض عليّ فيها والتي سوف أتجرع فيها كأس الشهادة قد أسرعت في الاقتراب. وأطلب منك ان تسمحي لنجلك ان يرافقني الى مكان اعدامي وليؤكد على الحراس والجلادين الذين سوف أسلم لأيديهم ان لا يجبروني على خلع هذه الثياب. ومن رغبتي ان يطرح جسدي في بئر وان تملأ بعد ذلك بالتراب والأحجار. وبعد مرور ثلاثة ايام على وفاتي ستأتي اليك امرأة تزورك، فعليك ان تسلمي لها هذا الملف الذي أسلمه الآن لك. وآخر طلباتي ان لا تسمحي لأحد بأن يدخل غرفتي، فمن الآن الى الوقت الذي يأتي لخروجي من هذا المنزل أريد ان لا يقطع أحد صلواتي. ففي هذا اليوم اعتزمت الصوم ولا أقطع هذا الصوم حتى أقابل محبوبي". وأمرتني مع هذه الكلمات ان أغلق باب الغرفة ولا أفتحها حتى تدق ساعة الفراق. وطلبت اليّ ان لا أفشي سر شهادتها حتى يعرفه أعداؤها بأنفسهم.

وأوجبت عليّ محبتها العظيمة طاعتها. ولولا رغبتي في تنفيذ رغباتها ما كنت أسمح لنفسي ان أبتعد عنها ولو لحظة واحدة. فأغلقت باب الغرفة وعدت الى مخدعي في حالة جزع وحزن عميق ومكثت بلا نوم مكتئبة على فراشي. وأفجع قلبي علمي بدنو ساعة شهادتها، وكنت أناجي ربي في يأسي وأقول رب اذا شئت امنع عنها الكأس الذي ترغب في تجرعه. ففي

تلك الليلة كنت من شدة قلقي أقوم وأذهب الى عتبة غرفتها وأبقى هناك صامتة استمع لما يخرج من فمها من المناجاة ونغمات المدائح في محبوبها ولم أتمكن من الاستمرار على هذه الكيفية الا قليلا لما كان يساورني من الاضطراب والأسى. وإذ مضت أربع ساعات من الليل سمعت دق الباب. وأسرعت الى نجلي وأخبرته برغبات الطاهرة، فأقسم ان ينفذ كل ما تأمر به. وتصادف في تلك الليلة غياب زوجي. ولما فتح نجلي الباب أخبرني ان الفراشين المرسلين من عزيز خان السردار كانوا واقفين عند الباب الخارجي يطلبون تسليم الطاهرة لأيديهم. فانزعجت من الخبر وذهبت الى بابها وفتحته بيد مرتعشة ووجدتها مقنّعة ومستعدة لترك الغرفة. وعندما دخلت الغرفة كانت تتمشى وترتل مناجاة جامعة بين الحزن والنصر. وبمجرد ان رأتني اقتربت مني وقبلتني ووضعت في يدي مفتاح صندوقها الذي تركته لي وبه بعض الاشياء الصغيرة كتذكار لبقائها في منزلي. وقالت لي (كلما فتحت الصندوق وشاهدت الاشياء التي فيه فانك تذكريني وتفرحي لفرحي).

وبهذه الكلمات ودّعتني ورافقها نجلي وغابت عن أنظاري، فكم شعرت للوقت والساعة بضربات الحزن والأسى وأنا أشاهد جمال هيكلها يبتعد تدريجيا من أمامي. وامتطت الجواد الذي

أرسله لها السردار وحرسها نجلي وجملة من الخدام الذين مشوا على جانبيها وذهبت الى الحديقة التي كانت محل استشهادها.

وبعد مرور ثلاث ساعات، عاد نجلي ووجهه مغطى بالدموع وهو ينزل اللعنات على السردار وعلى ضباطه الفسقة. واردت تهدئة خاطره وإذ جلس بجانبي، سألته ان يحكي كيفية استشهادها. فأجاب وهو يبكي (والدتي انا لا أقدر ان أوف وصف ما شاهدته بعين رأسي حق الوصف، فاننا ذهبنا الى حديقة ايلخاني[16] تواً وتقع خارج باب المدينة، وهناك شاهدت لذعري السردار وضباطه غارقين في أعمال الخنا المخجلة وقد لعبت الخمرة بعقولهم وعلت أصواتهم بالقهقهة والضحك، وإذ وصلنا الى الباب ترجلت الطاهرة ونادتني وطلبت مني ان أكون وسيطا بينها وبين السردار لأنها تشعر بعدم الميل لمخاطبته وهو في نشوته ومرحه. وقالت (انهم على ما يظهر يريدون خنقي وقد أعددت منذ زمن منديلا حريريا ليستعمل في هذا الغرض. وأنا أعطيه لك وأريد ان تقنع هذا السكير ان يستعمله في أخذ روحي).

ولما ذهبت الى السردار وجدته في حالة سكر عميق. وإذ اقتربت اليه صاح قائلا (لا تكدر علينا صفو مرحنا فلتؤخذ هذه الشقية التعسة وتخنق وتطرح في البئر). وقد دهشت من

صدور مثل هذا الأمر. واعتقدت ان لا حاجة لاعادة السؤال وذهبت الى اثنين من الخدام الذين سبقت لي معرفتهما وأعطيتهما المنديل الذي سلمته لي الطاهرة. فعملا على اجابة طلبها ولفا المنديل حول رقبتها حتى أسلمت الروح. وأسرعت الى البستاني لأسأله عن محل يصلح لمواراة جسدها فيه. فأرشدني لفرط سروري لبئر حفرت حديثا وتركت بدون اكمال. وبمساعدة آخرين أنزلنا الجسد في قبره وملأنا البئر بالتراب والأحجار كما أرادت هي بنفسها. ثم تفرق القوم وهم في حزن وسكون تاركين تحت الأنقاض تلك الفريسة التي أنارت مملكتهم بضياء لن يزول أبداً). انتهى.

وقد بكيت بدموع حرا على تلك الفاجعة التي رواها لي نجلي. وغلب عليّ التأثر حتى وقعت على الارض مغشياً عليّ، ولما أفقت من غشيتي وجدت ان نجلي قد وقع مثلي من شدة الألم وأصابه مثل ما أصابني وكان مطروحا في فراشه تنهمر منه دموع الحزن والأسى. وإذ شاهد حالي وما أصابني واساني بقوله (إن دموعك ستكشفك أمام عينيّ والدي وقد يحمله مركزه ومقامه ان يتركنا ويقطع كل علاقة بينه وبين أسرته. واذا لم نحبس دموعنا فانه يتهمنا أمام ناصر الدين شاه ويجعلنا فريسة لعدو لدود. ويحصل من ناصر الدين شاه على

أمر باعدامنا وربما نفذ حكمه بأن يذبحنا بيده. فلماذا نرضى بمثل هذا النصيب من يده ما دمنا لم نعتنق هذا الأمر. وكل ما علينا هو ان ندافع عن الطاهرة ونكذب أقوال كل من يتهمها في عرضها وشرفها. ولنجعل حبها مكنونا في أفئدتنا للأبد ونؤكد للجميع نبالة وشرف حياتها أمام كل عدوّ حانق شانيء).

وكانت كلماته قد خففت هيجان قلبي، وذهبت وأحضرت الحقيبة التي تركتها لي وفتحتها ووجدت فيها قنينة من ألطف الطيب وبجانبها مسبحة وقلادة من المرجان وثلاث خواتم عليها فصوص ياقوت وعقيق وفيروز، وبينما أنا أنظر الى ممتلكاتها الارضية تأملت في أحوال حياتها وحوادثه وتذكرت شجاعتها وصدقها وحماسها وعلوّ نفسها في أداء الواجب واخلاصها اللامتناهي. وأخذتني رجفة من التعجب وجال في خاطري ذكرى قصائدها وذكرى سجنها وبلائها والسخرية التي قابلتها بكل ثبات لا يظهر من أي امرأة في تلك الديار. وتفكرت ملياً في ملاحة ذلك الوجه الذي بقي للأسف مدفونا تحت ردم من التراب والأحجار. وكم كانت ذكرى فصاحتها المؤثرة تثير شعور قلبي كلما رددت تلك الدرر التي كانت كثيرا ما تخرج من فمها وكانت سعة علمها وتبحرها في العلوم

الشرعية والكتب المقدسة الاسلامية تمر على خاطري بسرعة البرق، فيساورني القلق حتى يكاد يأخذ بلبي وتذكرت وأنا واقفة بجانب حقيبتها ما صدر منها من الولع المفرط والخشوع والخضوع للدين الذي أعتنقته وحماسها أثناء مدافعتها عنه والخدمات التي أسدتها اليه والمتاعب والصعوبات التي تحملتها في سبيله والمثل الأعلى الذي ضربته لأتباعه والقوة التي أظهرتها في رقي أمره والاسم الذي نقشته لنفسها في قلوب أبناء وطنها وصرت أتعجب عن الباعث الذي جعل مثل هذه المرأة العظيمة تترك الثروة والكرامة التي تحيطها وتتبع أمر غلام مجهول في شيراز وجعلت أفكر في نفسي في الداعي الذي دفعها والسر في تلك القوة التي ألجأتها الى الانفصال والابتعاد عن منزلها وعن ذوي قرابتها وشددت قواها في كل أدوار حياتها المفعمة بأرياح التقلبات والاضطهادات التي جرتها أخيرها الى قبرها. وتساءلت في نفسي، هل كانت مثل هذه القوة صادرة من الله؟ وهل كانت يد الله هي التي ترشدها وتوجهها وتمخر بها في عباب مخاطر حياتها؟ وفي اليوم الثالث من شهادتها[17] جاءت المرأة التي أخبرتني بمجيئها سابقاً وسألتها عن اسمها ولما علمت انه مطابق للذي أخبرتني به الطاهرة سلّمتها الملف الذي أمّنتني عليه ولم أكن قد رأيت هذه المرأة من قبل ولم أرها بعد ذلك[18].

وكان اسم تلك السيدة الخالدة "الطاهرة" فاطمة، وهو الاسم الذي سمّاها به والدها. وكانت كنيتها أم سلمه، كما سمّاها بذلك أهلها ومعارفها وكذلك دعوها بالزكية. وكانت ولادتها سنة 1233 هجرية[19] وهي نفس السنة التي ولد فيها حضرة بهاءالله. وبلغت وقت شهادتها سن السادسة والثلاثين من عمرها. ولعل الاجيال القادمة تجمع سيرة مستوفية من تواريخ حياتها بما خفى عن معاصريها ولعل المؤرخين فيما بعد يقدّرون قوة تأثيرها ويدونون بتوسع تام تلك الخدمات الجليلة التي أدتها للوطن ولأبنائه. ولعل المؤمنين بالدين الذي خدمته يبذلون الجهد في اتباع مثلها الأعلى ويعددون أعمالها ويجمعون كتاباتها ويبسطون أسرار أفكارها ويجددون ذكراها على مر الأيام ومحبتها في قلوب أهالي وشعوب الارض[20].

"يعلق السير فرانسيس يونغ هازبند في كتابه **(The Gleam)** صفحة 203/202، فيقول:

ومن أبرز الشخصيات في كل الدعوة كانت الشاعرة "قرة العين". كانت مشهورة بأخلاقها وتقواها وعلمها وفي النهاية آمنت عند قراءتها بعض آيات وآثار حضرة الباب. فأصبحت قوية جدا في أيمانها، ورغم انها كانت غنية ومن علية القوم، فقد تركت ثروتها وأولادها وإسمها ومركزها من أجل خدمة

سيدها وقدمت نفسها لاعلان وتثبيت أمره... كانت شدة بلاغتها من الروعة لدرجة انها جلبت انتباه ضيوف حفلة عرس اليها بدلاً من الاستماع الى الموسيقى التي هيأها المضيف".

وجاء في كتاب الدكتور ت. ك. شيني "اتحاد الأقوام والاديان" صحيفة 115-116):-

ان الغرس الذي غرسته قرة العين في البلاد الاسلامية ابتدأ يثمر وأخذت هذه الايام في الظهور، فان خطابا أرسل الى جريدة كريستيان كمنولث في يونيو الماضي أنبأ بأن اربعين سيدة من المطالبات بحق الانتخاب قد نفين من القسطنطينية الى عكاء (التي كانت لمدة طويلة سجن حضرة بهاءالله) ففي السنوات الاخيرة ابتدأت حقوق الانتخاب تنتشر بسكون بين الحريم وكان الرجال غير عالمين بهذه الحالة وكل الناس يجهلونها. والآن ابتدأ الطوفان يكتسح وابتدأ رجال استنبول يعدون العدة لاتخاذ طرق شديدة، فقد تكونت نوادي السيدات للانتخاب وكتبت مذكرات بديعة تتضمن مطالبهن، وانتشرت وظهرت مجلات نسوية وفيها مقالات بديعة، وعقدت مجامع وجمعيات عديدة، وذات مرة رفع نحو من اربعمائة سيدة براقعهن في احد المنتديات وانزعج الناس الجامدون من

حصول ذلك الامر وأخذ المسلمون والحكومة في العمل وشتتت الحكومة شمل الاربعمائة سيدة الراغبات في الحرية الى جملة فرق. ونفت احدى هذه الفرق وهي مكونة من أربعين سيدة الى عكاء وسيصلن بعد بضعة ايام. وأخذ جميع الناس في التكلم عن ذلك. وانه من المدهش حقا ان ترى العديد من الرجال الى جانب رفع الحجاب عن وجوه النساء. وكثير منهم يفكر بان هذه العادة لم تكن قديمة فقط بل انها خانقة لحرية الفكر. وأرادت الحكومة ان تقتل هذه الحركة للحرية الفكرية ولكنها زادت في اشتعالها وساعد عملها في خلق رأي عام أوسع نطاقا وزاد اطلاع الناس على هذه المسألة العصيبة.

وهكذا جمعت هذا الكم من المعلومات عن جناب الطاهرة من مصادر عدة، بعضها من أعمال مطبوعة وبعضها من مخطوطات، وأغلبها نقلته شفاهة من أصدقائها وأقربائها.

وعلى كل حال، فقبل ذهابي الى ايران رأيت تأثير جناب الطاهرة الكبير في كل القارات الخمس التي زرتها. وحالما وقفت بجانب البئر في تلك الحديقة الصغيرة في قلب العاصمة طهران حيث رمي جسدها العزيز، فكّرت بسطور أحداث الدراما الجميلة "أبطال الله" لمؤلفتها السيدة لورا دريفوس بارني

من باريس حيث ذكرت فيها قصة هذه الأخت الشرقية بشكل رائع جداً:-

(أوقفوا إمتهانكم وتجديفكم! يا لسخف أهدافكم! هل تعتقدون انكم تستطيعون دفنها هناك؟ سوف تظهر مرة ثانية والى الأبد أمامكم جميعاً! إنكم قد زرعتم ذكراها في عقول الرجال، وسوف تنتقل محبة روحها الى ملايين القلوب النابضة الحيّة. لقد طمستم أعمالكم في أسفل السافلين وشيدتم صيتها فوق القمم. سوف تتوهج الشجاعة والإخلاص والحقيقة الى الأبد بعد جناب الطاهرة).

وأنا أوافق سليمان ناظم بك، المؤلف الكبير وشاعر تركيا الذي قال في كتابه "ناصر الدين شاه والبابية":- (آه يا طاهرة، أنت أغلى من ألف ناصر الدين شاه!).

في ترحالي حول العالم، وجدت أنهم يعرفون عن جناب الطاهرة في كل مكان. فالسيدة ماريانا هاينش من فيينا – النمسا والدة رئيس النمسا، قالت لي عندما زرتها في 1925:- إن جناب الطاهرة (قرة العين) القزوينية من ايران، هي أعظم وأعلى مثل لي في حياتي. لقد كنت في السابعة عشر من عمري عندما سمعت عن حياتها وعن استشهادها، لكني قلت

في نفسي: "سأحاول جهدي ان أفعل لنساء النمسا ما حاولت جناب الطاهرة ان تفعله لنساء ايران وقدمت حياتها من أجلهن". ولم تفعل إمرأة في النمسا لتحرير وتثقيف نساء مجتمعها كما فعلته السيدة هاينش.

كانت صديقة السيدة هاينش الحميمة الآنسة ماري فون ناجماجير، وكتبت الأخيرة قصيدة رائعة فخمة الأسلوب اسمها "قرة العين"، تعتبر واحدة من الأدب الرفيع الكلاسيكي في اللغة الالمانية.

ولقد طلب مني البروفيسور ج. فايل أمين مكتبة شتاتس بيبليوتك في برلين، التي تعتبر واحدة من أعظم ثلاث مكتبات في العالم، استعارة كتاب "أبطال الله"، قصة جناب الطاهرة. وعندما أعاد الكتاب لي في اليوم التالي قال: لقد سررت بقراءة هذا الكتاب الجميل، سوف نطلب نسخاً منه اليوم. نحن نرغب بشراء كل كتاب يمكننا الحصول عليه عن الديانة البهائية.

وقال لي الطلاب الايرانيون الذين يدرسون في برلين وباريس، انهم في بيوتهم عندما كان يرغب الآباء في حث بناتهم على العلم والدراسة، غالبا ما يقولون لهن: "كُنَّ مثل جناب الطاهرة.. كُنَّ مثل قرة العين".

وقال لي أمير ايراني كبير عضو في عصبة الأمم سنة 1927: "كنت شاباً يافعاً عندما سمعت عن استشهاد الشاعرة الموهوبة جناب الطاهرة (قرة العين) في طهران، وأقول لك لقد بكيتها ثلاثة أيام.

وقال ارمينيوس فامبري في بودابست في هنغاريا في كتابه "رحلاتي وما شاهدته في ايران سنة 1867"، حيث تكلم عن حضرة الباب وأتباعه. وفيما بعد في سنة 1913 قابل هذا الرجل حضرة عبدالبهاء عند زيارته الى بودابست فآمن وأصبح بهائيا. وعندما زرت بودابست في سنة 1926، كان حفيده جورج فامبري وهو شاب في العشرين من عمره مهتما جدا بدراسة حياة جناب الطاهرة.

وعندما دعاني نواب سير أمين جونك بهادور الكبير، ناظم مدينة حيدر أباد في الهند الى مكتبته الجميلة التي كان يسميها "كنزي" وكان مسلما قرأ الكثير عن الديانة البهائية، قال لي في شهر يونيو 1930م: ان أكثر ما شدّه الى الديانة البهائية حياة جناب الطاهرة الرائعة، وكان يرغب كثيرا في الحصول على أشعارها باللغة الفارسية.

والسيدة ساروجينا نايدو من حيدر آباد ايضا، هي سيدة معروفة جدا في الهند ومتكلمة فصيحة وشاعرة، ترجمت أعمالها الى العديد من اللغات، وتعتبر أعمالها لدعم المرأة من أعظم الأعمال في هذا القرن، قالت لي في الرابع من شهر يونيو 1930 خلال سفرتي الثانية لنشر تعاليم حضرة بهاءالله في انحاء الهند: "آه.. لقد اشتقت لمدة عشر سنوات في الحصول على أشعار جناب الطاهرة!" وبما ان أحد الأحباء البهائيين في ايران كان قد استنسخ لي بعضا من أشعار جناب الطاهرة ووضعها في كتاب صغير جميل كهدية لي، فقد كنت أحاول كتابة بعضها بخط يدي لأقدمها لها ولبعض الاساتذة في الهند، من ضمنهم الكاتب والشاعر الاسلامي الشهير سير محمد اقبال من لاهور.

وعندما علم السيد اسفنديار ك. ب. بختياري بما نويت عليه، وهو بهائي ايراني مخلص يقيم في كراجي كان في صحبتي في لاهور في ذلك اليوم، أخذ هديتي وطبع منها ألف كتاب صغير لأتمكن من تقديمها خارج الهند ايضا. كانت جناب الطاهرة شاعرة عظيمة جداً، وبما ان غالبية أشعارها كانت روحانية وعن حضرة الباب وأمره المبارك، فلقد أحرقت

مع بقية كتاباتها. ولقد لحنت بعض أشعارها وغالبا ما أسمعها مسجلة في بيوت الايرانيين.

آه يا طاهرة، إنك لم تموتي، إنك مررت فقط، ان روحانيتك وشجاعتك ومآثرك ستتوهج الى الأبد، نُبلك ورفعة أخلاقك الانسانية، أغنياتك الروحانية ستكنز في قلوب لا عداد لها. إنك لحد هذا اليوم، معلمنا البهائي المثير الحيّ! وان أعمالك هي مجرد البداية، لأنك ستنقلين أمرنا البهائي الى الملايين التي لم تولد بعد!

انتهى

الهوامش

(1) وردت في الأصل اربيل.

(2) ان تاريخ وقوع هذه الجريمة كان بين 18 اغسطس وسبتمبر سنة 1847م الموافق 1263هـ تقريباً.

(3) وحسب ما جاء في كتاب "مطالع الأنوار"، ان ميرزا هادي كان ابن ميرزا عبد الوهاب قزويني (ص80) وميرزا عبد الوهاب كان أخ جناب الطاهرة (ص285).

(4) ويقول بعض المؤرخين، ان حضرة بهاءالله جاء بنفسه مع مجموعة كبيرة من المرافقين وأدخلوها الى المدينة.

(5) ولقد استشهد هذان الرجلان الشابان رضا خان وميرزا صالح في سنة 1849م عندما سقطت القلعة.

(6) وكما جاء في كتاب "مطالع الأنوار" صفحة 347-349 ان حضرة بهاءالله زار قلعة طبرسي وجلبت زيارته الفرح والسرور على الملا حسين (باب الباب). وإن حضرة بهاءالله هو الذي طلب إحضار جناب القدوس لأنه كان محبوساً، وهو الذي أخبرهم كيف يمكنهم تخليصه.

(7) استشهد ميرزا جاني في طهران 15 سبتمبر 1852م، وكان تاجراً وبابياً مخلصاً وألّف كتابا عن مشاهداته وما سمعه

من سنة 1844م وحتى 1852م. ولقد وعد بكتابة تفاصيل أكثر عن جناب الطاهرة، إلا ان شهادته منعته من ذلك.

(8) لقد قرأت في أحد كتب التاريخ ان جناب الطاهرة سجنت في غرفة صغيرة منفردة في البداية فقط، ولأن نساء رئيس الشرطة أحبوها بدرجة كبيرة، طلبوا ان تأتي وتعيش داخل البيت معهم، فكان لها غرفة فيها شرفة في الطابق الثاني من المنزل. ويعتقد انها سكنت هناك لمدة ثلاث سنوات أو أكثر، وبما ان الحبس لم يكن صارماً جدا، فقد استطاعت مقابلة العديد من الناس ممن جاءوا تحت أعذار مختلفة للاستماع لأحاديثها.

(9) لقد أخبرني حفيد جناب الطاهرة الذي يعيش في طهران في مارس 1930م:- انني سمعت من والدي ان ناصر الدين شاه طلب حضور ثلاثة من كبار رجال الدين لمناقشة جناب الطاهرة. وفي هذا النقاش سألوها ما هي اثباتات دينك؟ فأثبتتها من القرآن. فحاول رجال الدين ما في وسعهم التغلب عليها، الا انهم فشلوا في ردها. ورغب الشاه ترتيب جلسة مناقشة ثانية، الا ان رجال الدين لم يسمحوا بحضور جناب الطاهرة في ذلك اللقاء، إضافة الى انهم طلبوا من الحكومة إعدامها بسرعة كبيرة. ولم يكن ناصر الدين شاه راغباً في اعدامها.

(10) يبدو من فحوى الحديث، أن في الحديقة بيت او قصر له طابق أرضي.

(11) كانت نهاية رئيس الشرطة محمود خان كالتالي: بعد تسع سنوات، انتبه الشاه لأحد أعماله غير المقبولة، فأمر أحد الجلادين بتجهيز الحبال ولفها حول رقبة محمود خان وقتله على الفور. ثم أمر بتعليق جثته على المشنقة.

(12) حسب النسخة الانكليزية.

(13) ومكثت هناك مدة طويلة تستقبل الزوار العديدين من الرجال والنساء وكانت تؤثر على النسوة وتظهر لهم حقيقة الدور الكريه الذي عينه لهن رجال الدين وكانت تقنعهن كيف ان الدين الجديد أعطاهن حرية واحتراما. وكادت هذه المجادلات تمكث مدة طويلة لولا ان الميرزا أقا خان الذي تعين صدرا أعظم أمر حاجي ملا ميرزا محمد أندرماني وحاجي ملا علي كنى ان يذهبا اليها ليمتحنا اعتقادها. فباحثاها في سبعة مجالس وناقشتهما بكل حماس وأظهرت لهما ان حضرة الباب هو الامام المنتظر والموعود. فردا عليها بان الامام الموعود يظهر من جابلقا وجابرسا فأفهمتهما بقوة بان هذا كذب محض واختراع المحدثين الكذابين. وان المدينتين المذكورتين لاوجود لهما مطلقا وما هما سوى خرافة تليق بالمجانين. وأظهرت لهما الأوامر والاحكام الجديدة واثناء تبيين وجه الحقيقة كانت دائما

تظهر فساد نظرية جابلقا. وأجابتهما منفعلة (بان الادلة التي تسوقانها هي أشبه بأقوال طفل غبي جاهل. فإلى متى تسيران وراء هذه الاكاذيب والخرافات الجنونية. والى متى لا ترفعان رأسيكما لتريا شمس الحقيقة. واذ تأثر الحاجي ملا علي من هذه الاقوال قام وقال لزميله ما هي الفائدة من زيادة البحث والمناقشة مع كافرة. فذهبا الى منزل احدهما وكتبا حكما أبانا فيه عن ردتها وكفرها ورفضها التوبة وحكما عليها بالاعدام باسم القرآن (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 446–447).

(14) واثناء وجودها تصادف حصول عرس ابن كلانتر. فكانت نسوة الطبقة العالية مدعوات ومع انهن صرفن مبالغ طائلة لجمع وسائل الطرب فانهن رغبن بطلب رؤية قرة العين. وما كادت تحضر أمامهن وتبتديء في الكلام حتى أبطلن الموسيقى والرقص وتركن تناول المرطبات والحلويات اللذيذة وصرفن المغنيات والراقصات وامتنعن عن النظر لأي شيء سوى قرة العين (نفس الكتاب السابق صحيفة 448).

(15) واسمه محمود خان كلانتر الذي أودعت في حراسته قرة العين.

(16) هو مكان فسيح أمام الوكالة البريطانية والسفارة التركية وهذا المحل اختفى منذ 1893. وفي وسط هذا الميدان

وعلى رصيف الطريق خمس او ست شجرات منفردة تؤدي الى البقعة التي استشهدت فيها البطلة البابية لانه في ذلك التاريخ كانت الايلخانة تمتد الى تلك الناحية ولما عدت في سنة 1898م وجدت ان الميدان قد اختفى وظهرت فيه مباني جديدة ولا أعلم اذا كان المالك قد احترم هذه الاشجار التي قد غرستها ايدي صالحة (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 452).

(17) أغسطس سنة 1852 ميلادية.

(18) انظر مجلة الجمعية الاسيوية الملكية سنة 1889م البند السادس صحيفة 492.

(19) 1817–1818 ميلادية.

(20) قد أظهر الجمال مع الجنس اللطيف تعلقه بالأمر الجديد وكانت تلك الشاعرة المحبوبة السيئة الحظ زرين تاج شاعرة قزوين او قرة العين قد خلعت برقعها ورفعت مشاعل التبليغ عن الأمر الجديد في كل مكان. وكانت شجاعتها من أعظم الحوادث أثرا في التاريخ الحديث. (ايران والمسألة الايرانية للورد كرزون جزء 1 صحيفة 497 حاشية 2). ولا يوجد تذكار محترم أشعل حماسا مثل تذكارها وكان تأثيرها في حال حياتها مما انتفع به أصحاب جنسها (من كتاب المسألة الشرقية الوسطى لفانتين شيرول صحيفة 124).

وظهور قرة العين في أي مملكة او أي عصر من الحوادث النادرة وأما ظهورها في مملكة مثل ايران فاحدى العجائب بل يكاد يكون معجزة. وكانت على ما جمعت من الجمال النادر والطهارة على جانب عظيم من المواهب العقلية والبلاغة والقوة والشجاعة الذاتية والاخلاص وكان استشهادها الباسل مما لا مثيل له وهو أبدي الذكرى فيما بين مواطنيها من النسوة. ولو لم يكن للدعوة البابية من أسباب العظمة والفخر سوى انها خلقت امرأة باسلة مثل قرة العين لكفاها. (من كتاب مقالة سائح حاشية ق في صحيفة 213).

وأعظم الأمثال في جميع الحركة هو قرة العين الشاعرة، فكانت مشهورة بتقواها وفضلها وعلمها وأخيرا تمسكت بدعوة حضرة الباب عندما قرأت بعض آياته ونصائحه واشتد ايمانها مع كونها غنية ونبيلة على شأن انها تركت ثروتها وصيتها ومركزها واطفالها لأجل خدمة مولاها وقامت على نشر مبدئه ودينه... وكان جمال خطابها بدرجة انها جذبت الضيوف من حفلة زواج وفرح ليستمعوا اليها بدلا من الموسيقى التي أعدها المضيف. أما أشعارها فمن أعظم الأشعار في اللغة الفارسية في قوة التأثير (كتاب اللمعة تأليف السير فرانسيس ينج هسباند صحيفة 202-203).

واذا نظرنا الى الدور الذي لعبته قرة العين فان الانسان ليُدهش من الحماس المتأجج الذي أظهرته ومن انقطاعها التام عن العالم. فهذه الدنيا كانت بالنسبة لها عبارة عن حفنة من التراب كما يقول حضرة القدوس وقد كانت خطيبة بليغة ومتقنة لأعوص أنواع الشعر الفارسي. ومن أشعارها ما له أهمية خاصة لأنه يظهر فيه الاعتقاد في شخص بشري (بدعوة الرب) وانه سوف يصدق دعوته الجميع. فمن يكون ذلك الشخص يا ترى؟ ويظهر ان قرة العين استبطأته في اظهار دعوته وهل يمكن ان يكون هناك شخص تفكر فيه سوى حضرة بهاءالله؟ فكانت الشاعرة حقاً بهائية (كتاب الدكتور ت. ك. شيني اتحاد الأقوام والاديان صحيفة 114–115).

أما المبلغة الاخرى وهي السيدة التي تكلمت عنها التي أتت الى قزوين وهي بكل تأكيد احدى الظهورات المهمة ذات الأثر البليغ في الديانة البابية فضلا عن انها موضع احترام البابيين (كتاب الكونت جوبينو الاديان والفلسفة في اسيا الوسطى صحيفة 136).

وكان الكثير من الذين عرفوها وسمعوها في أوقات مختلفة من حياتها يذكرون لي دائما انها فضلا عما اشتهرت به من العلم والغزارة في الخطب فان القاءها كان من السهل الممتنع

وكان الناس اثناء تكلمها يشعرون باهتزاز وتأثير الى أعماق قلوبهم مفعمين بالأعجاب وتنهمر دموعهم من الآماق (نفس الكتاب صحيفة 150).

والكثيرون من المسلمين والبابيين يمتدحون اليوم جمال قرة العين ومما لا نزاع فيه ان روح وأخلاق هذه السيدة الصغيرة كانت على غاية من الرفعة وعلو الشأن. وكانت كثيرا ما تشهد المجتمعات التي تغشاها العلماء بل كانت يوميا تقريبا تحضرها وكان لها شغف بها وكانت دائما على استعداد لمتابعة المجادلات والمحاورات العميقة التي كان والدها وعمها يتذاكرونها وكذلك ابن عمها الذي تزوجها، بل كانت تفحمهم بأفكارها وتدهشهم بملاحظاتها الدقيقة التي تدل على شدة نباهتها. ففي ايران ليس من الامور العادية رؤية سيدة تشتغل بمثل هذه الأمور بل ان تلك ظاهرة نادرة الحصول فانه كان من الامور المتعذرة ان تجد سيدة مثل قرة العين في فضلها وعلمها فانها زيادة على معرفة اللغة العربية معرفة جيدة للغاية فانها اشتهرت في علوم الحديث وفي تفسير القرآن بطريقة لم يتمكن من مثلها باقي العظماء وأخيرا كانت في قزوين بحق احدى المعجزات (نفس الكتاب صحيفة 137).